

ينتظر مثل هذه الأشجار هو قطعها واستعمالها حطباً.

تحتل الثقافة محلاً متميزاً في حياة كل أمة. وكل ثقافة امتزجت مع ماضي الأمة وارتبطت بجذور روحها تستطيع إنارة طريق الحياة والتقدم أمامها. وعلى النقيض من هذا فإن قيام الأمة بتسليم نفسها إلى أحضان فكر وثقافة أجنبية والسير متذبذبة ذات اليمين وذات اليسار سيؤدي إلى اضمحلال تلك الأمة وتفسخها.

الشباب

الرجل الشاب مصدر أمل للقوة والقدرة والذكاء. فإن تم الاهتمام بتربيته وتنشئته أصبح "هرقلاً" يتغلب على المصاعب ورجل يفكر ينير القلوب ويعيد ترتيب الأمور وتنظيمها.

المجتمع يشبه وعاءً بلورياً، والشباب هم السائل الذي يملأ هذا الوعاء ويعطيه شكله ولونه. ولا أدري أيستطيع حواريو النظام في المجتمع الذين يدعون الشباب دوماً إلى الانقياد والطاعة أن يترثوا لحظة ويلقوا نظرة إلى أنفسهم؟

الأهواء تشبه الحلويات، أما الفضائل فتشبه أطعمة فيها بعض الملوحة. لذا أهنئك حاجة لتحمين الصنف الذي سيختاره الشباب والصنف الذي سيركبه إن أعطيت له حرية الاختيار كاملة؟ هذا مع العلم بأننا مضطرون لننشئهم بحيث يكونون مع الفضائل وضد الرذائل وضد السقوط الأخلاقي.

حتى اللحظة التي نصل فيها بالتربية إلى نجدة الشاب نراه في المحيط الذي نشأ فيه يحوم بجنون حول الأهواء والشهوات بعيداً عن البصيرة وعن العلم والمنطق. ولكن إن أعطيت له تربية تربطه بجذوره وهيئته للمستقبل، انقلب إلى شاب يعكس شعور الأمة وفكرها ويمثلها.

* * *

إن تقدم الأمة إلى الأمام أو تراجعها إلى الوراء وانحطاطها مرتبط بالتربية والروح والشعور الذي تنشره أجيالها الشابة. فطريق التقدم مفتوح دوماً أمام الأمم التي تعد شبابها إعداداً جيداً. أما الأمم التي تهمل شبابها فلا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام.

* * *

على الذين يرغبون في معرفة مستقبل أي أمة والتنبؤ به القيام بالنظر إلى التربية المعطاة إلى شباب تلك الأمة. عند ذلك يستطيعون التأكد بأنهم يستطيعون هذا وأن أحكامهم ستكون صحيحة مئة بالمئة.

الطفل

يمثل الطفل بالنسبة لنسل الإنسان ما تمثله البذرة بالنسبة لاستمرار نوع ونسل الشجرة. والأمم التي تهمل أطفالها محكوم عليها بالانقراض. والأمم التي تدع أطفالها في أيدي الأجانب وتحت تأثير الثقافات الأجنبية سرعان ما تفقد هويتها.

* * *

أطفالنا الحاليون سيكونون بعد (٣٠-٤٠) سنة أكثر شرائح المجتمع تأثيراً وإنتاجاً وفعالية. وعلى الذين ينظرون إلى الأطفال نظرة استصغار واستهانة أن يدركوا مدى استهانتهم بعنصر هام من عناصر الأمة وأن ينجحوا لذلك.

* * *

ما نراه اليوم من سوء في أجيالنا الحالية، ومن عدم قابلية في بعض الإداريين عندنا وما تعيشه أمتنا من مصاعب... المسؤولين عن هذه المشاكل هم الإداريون عندنا قبل ثلاثين سنة. أما المسؤولون الحاليون عن التربية وعن التعليم فسيكونون هم المسؤولون عن كل مشكلة أو فاجعة وكذلك عن كل فضيلة وكل خير.

على كل أمة تريد ضمان مستقبلها توجيه بعض عنايتها إلى تربية وتنشئة أطفالها الذين سيكونون رجالها في المستقبل بدل تبذير طاقتها وسنواتها هنا وهناك. ومع أن الكثير من الجهود المبذولة هنا وهناك ستذهب أدراج الرياح، إلا أن أي جهد مبذول في سبيل تربية الأجيال يكون مصدراً لا ينضب من الخير.

الذين يعدون الآن وصمة عار في جبين المجتمع من الأشرار والسكّرين والفضوليين ومدمني المخدرات هم الذين تم إهمال تربيتهم عندما كانوا أطفالاً. وأمام إهمالنا الحالي لا أدري هل فكرنا بنوعية الجيل القادم الذي سيملاً ساحاتنا وشوارعنا غداً؟

لن تكون الأمم المتقدمة في التقنية وفي التكنولوجيا هي الأمم المسيطرة في المستقبل، بل ستكون هذه السيطرة في يد الأمم التي تهتم بمؤسسة الزواج ومؤسسة العائلة والتي تنجح في السمو بأجيالها إلى مستوى الإنسانية الحق أما الأمم التي لا تعبر أهمية لمؤسسة الزواج والولادة ولا تهتم بتربية أجيالها حسب فلسفتها في التربية والتوجيه محكوم عليها بالتحلل والذوبان بين فكي الزمان الذي لا يرحم.

التجارة

التجارة هي دق باب الرزاق الذي بيده كل شيء بلسان المال والأمتعة، والتوجه إلى بابه طلباً للرزق. يجب أن يتم هذا التوجه على ألا يتم نسيان أن إسعاف أو عدم إسعاف الطلب يعود إليه وحده. ومهما تقدم العلم والتكنولوجيا فإن دور التجارة سيبقى دوراً متميزاً وأكبر مما يتصوره الكثيرون. بل ستكون الحكومات والإداريون تحت وصاية التجارة. فلا تستطيع هذه الحكومات إدامة حياتها إلا بتأييد من قبل أرباب التجارة.

ومع الأهمية البالغة للعلم وللإختصاص في كل ميدان وفي ميدان التجارة والحرف أيضاً، إلا أنه يجب ألا ننسى أهمية التجربة والتعلم من المحترفين في هذين الميدانين، ميدان التجارة وميدان الحرف. فكم من مسألة موجودة في الكتب إن لم تمر من يد مجرب ومحترف ماهر لا يمكن تطبيقها في الواقع العلمي.

الوقت الذي يقضيه التاجر الذي يراعي الحلال والحرام في تجارته يعد عبادة.

يجب ألا يغيب عن البال أن نظافة أماكن التجارة ونظافة مكاتبها وانتظامها، أو وساحتها وعدم انتظامها يعكس في الأكثر نفسية ذلك التاجر أو رجل الأعمال وحالته. وهذا يؤثر تأثيراً إيجابياً أو سلبياً على الزبائن.

رجل الأعمال المحتال أو التاجر المحتال يعصي ربه أولاً ويعصي ضميره ثانياً. وبعد أن يفضح أمره بين الناس يفقد احترامه بين الناس وتبدأ أرباحه بالتناقص ثم بالخسارة.

الاستقامة والأمانة وإدراك روح العصر الحالي والتصرف بكل لباقة وأدب مع الزبائن هو روح التجارة. والتاجر الذي يقصر في أي أمر من هذه الأمور يكون قد خاصم روح التجارة وأضر بها وسد أبواب ربحه.

على التاجر والحرفي أن يكون عذب اللسان طلق الوجه ومتواضعاً، صادقاً في كلامه، لا يسأم ولا يضجر. ومع أن هذه الصفة ضرورية لأرباب كل وظيفة ومهنة، إلا أنها تكون أكثر ضرورة للتاجر وللحرفي لكونهما على اتصال دائم مع الناس وعلى علاقة قريبة بمنافعهم أو أضرارهم.

الذين يفتحون أماكن عملهم قبل ساعة من المعتاد، ويغلقونها بعد ساعة من المعتاد يجعلون أيام أشهرهم ٣٥ يوماً وأيام سنتهم ٤٢٠ يوماً.. بشرط قيامهم بأداء عملهم على الوجه المطلوب في ساعات العمل.

الأخلاق

هناك فرق بين أن تكون عالماً وبين أن تكون إنساناً. فبنسبة استعمال العالم لعلمه في خدمة الإنسانية وبنسبة تمثيله لعلمه بخلقهِ وفضيلته يتخلص من كونه مجرد حامل علم ويرقى إلى مستوى الإنسان الفاضل، وإلا فهو شخص مسكين أضاع عمره فيما لا ينفع. فالأخلاق والفضيلة هي التي تحول المعدن الصديء للجهل إلى معدن ثمين ومفيد كالذهب.

إياك أن تخدع أحداً حتى وإن تعرضت أنت للخداع. ومع أن الوفاء والاستقامة تجلبان في بعض الأحيان مصاعب وخسائر لصاحبهما، إلا أنهما حصلتان ساميتان إياك أن تبتعد عنهما.

لم يعد مفهوم الأخلاق في هذه الأيام كما كان القدماء يفهمونه في السابق كمجموعة فضائل. فإنسان اليوم يراها في الأغلب كمجموعة من الذوق والتربية الاجتماعية واللباقة. ويا ليتنا كنا نشاهدها عند الجميع حتى ضمن هذا الإطار.

* * *

تحتوي الأخلاق التي لها علاقة بتصرفات الإنسان على بعض الدساتير العالية، وتتبع جميعها من سمو الروح. لذا نستطيع أن نقول بناءً على هذا إن الذين لم يمتزجوا مع أرواحهم ولم يقتربوا منها لا يستطيعون تطبيق القواعد الأخلاقية مدة طويلة.

* * *

قالوا في السابق: "لقد بقيت الأخلاق في طيات الكتب". أما الآن فيقولون: "بقيت في طيات الكتب القديمة". وحتى لو كان هذا صحيحاً فكم من جديد يستحق أن نضحى به في سبيل هذا الشيء العالي الذي يريدون إبقاءه في الماضي.

* * *

تضحية الإنسان بمصلحه ومنافعه من أجل مصلحة ومنفعة الآخرين سمو في الروح وشهامة خلق. والذين يفعلون الخير على الدوام دون انتظار أي أمر أو منفعة سيذهلون عندما يلتقون وجهها لوجه مع كل فعل خير أو نية صالحة في موقف لم يكونوا يتوقعونه أبداً. وعنده ينعقد لسانهم فلا يعرفون كيف يشكرون.

الفضيلة

ابحث دائماً عن مناصب ومناقب جديدة لروحك التي ستدوم وتبقى إلى

الأبد. ولا يغيب عن بالك لحظة واحدة الاحتفاظ بهذه المناقب والفضائل وعدم فقدانها.

إذا كان هناك مجتمع يغمض عينيه عن جميع أنواع القبح والقبائح والردائل، ويصرف همه في مطاردة كل شيء جميل وكل فضيلة وكل فاضل وكأنه شقي أو لص، وإذا كان أنصار الحق والحقيقة وعشاق الفضيلة يلاقون الإرهاب والعنت، وإذا كانت الرذيلة تدخل كل مكان، فإن بطن الأرض خير من ظهرها في ذلك المجتمع لأصحاب الفضائل.

قيل إن الفضيلة هي ما يحترمه الإنسان ويوقره من سلوك، والحيوانات لا تعرفها ولا تستسيغها. والرذيلة هي ما يتجنبه الإنسان ويفر منه من سلوك أو تصرف. وهذا ما يميز الإنسان، لأن الحيوانات لا تملك مثل هذا القسطاس الأخلاقي، وهو قول صحيح.

شعور المحبة نحو مفاهيم سامية كالدين والأمة والوطن والعرض من علامات الأرواح الشهمة. فهي لا تقبل المساس أبداً بهذه المفاهيم. وإذا استوجب الأمر تقوم بتضحية أرواحها في سبيلها عن طيب خاطر. والأشخاص المحرومون من مثل هذا الروح السامي قد يعدون هذا جنوناً.

الفضيلة تبقى فضيلة وإن أدت في ظروف معينة إلى أضرار. لذا فمن الظلم الاستهانة بها في هذه الحالات. لذا يجب محاولة إزالة مثل هذه الأضرار بالفضيلة أيضاً.

الفضيلة هي الحالة الروحية التي لا تهتم بجلب احترام الآخرين مع أنها

عملت عملاً يستحق الاحترام. أما الغرور فهي الحالة النفسية التي تتوقع احترام الآخرين ومدحهم لعمل لا يستحق الاحترام.

عندما تتكلم الفضيلة يلوذ الغرور إلى حضن الأنانية ويستمتع بكل ألم.

* * *

ذكر عظمائنا السابقين بكل خير حق لهم، وتعبير عن وفائنا. ذلك لأنهم بمثابة جذور هذه الأمة التي أكسبتها الحياة والأصالة. وكل محاولة للنيل منهم محاولة لإبعاد الأمة عن ماضيها المشرق المجيد.

* * *

الذين يذكرون العظماء الحقيقيين بالخير والاحترام، سيذكرون يوماً بالخير أيضاً. أما الذين يحاولون الوصول إلى الشهرة بالنيل من هؤلاء العظماء فسيكتسبون سمعة وشهرة سيئة.

معرفة النفس بصيرة. أما الغرور فعمى. والذي يعرف نفسه يكون قريباً من الله ومن الناس. أما المغرور فيكون بعيداً عن الكل باستثناء نفسه.

* * *

تقييم الأخطاء الماضية والاستفادة منها والعفو عن الناس السابقين وعدم الانكباب على تذكر أخطائهم تصرف حميد وعقل. أما الانشغال بالماضي دون أي داع والتهجم على الأشخاص السابقين فتصرف أحمق.

الراقي

إن رقي أي أمة وتقدمها مرتبط بمدى التربية التي تلقاها أفرادها من الناحية العاطفية والفكرية. فلا ينتظر تقدم أمة لم تتوسع آفاق أفرادها الفكرية والجوانية.

* * *

من شروط تقدم الأمة وصول أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية. فلا يمكن توقع تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعاً وطوائف متناحرة.

* * *

الأجيال التي لم تتلق تربية موحدة، بل نشأت وغذيت بثقافات مختلفة لا بد أن تنقسم إلى معسكرات مختلفة ومتعادية. لذا فتوقع تقدم أمة هذه حالها إن لم يكن مستحيلاً تماماً فهو صعب صعوبة كبيرة.

* * *

يبدأ كل تقدم بفكرة معينة وتصور معين، ثم يتم قبول هذه الفكرة من قبل الجماهير، ثم تتحقق بجهود الأفراد المتكاتفين معاً في هذا السبيل. ولكن إن لم يكن للعلم نصيب في تخطيط هذه الفكرة، أو لم يسمح للعلم بذلك، فكل جهد وكل تعبئة عامة لإنجاحها محكوم عليها بالفشل.

* * *

كل ما يؤدي إلى تحسن وزيادة جمال وزيادة نظام وزيادة فضل يُعد رقيّاً لذلك الشيء. أي الاكتفاء بالموجود كسل وبلادة. أما تجاوز الموجود إلى الأحسن وإلى الأفضل فهو الرقي.

* * *

تحويل السهول الخضراء والبساتين الياقة إلى سهول وأراضٍ جرداء وإلى مزابل يعد تدنياً وتراجعاً للوراء. أما تحويل الأراضي الجرداء والمزابل إلى سهول خضراء وإلى بساتين غناء فهو تقدم ورقي.

ممالك الأمم المتقدمة جنات، وجبالها غابات خضراء، ومعابدها كالقصور، بينما مدن الأمم المتأخرة خرائب وشوارعها مزابل ونفايات، ومعابدها تفوح منها روائح العفونة والوساخة.

* * *

مع أهمية انتشار القراءة والكتابة ودورهما الكبيران في رقي المجتمعات إلاّ

أنه إن لم يتم تربية الأجيال بثقافتها المالية وحسب اتجاه معلوم فمن الصعب
نيل النتائج المرجوة.

* * *

كل محاولة وحملة للتقدم تمر من التقييم الجيد للوضع الحالي مع الاستفادة
من تجارب الأجيال السابقة وإعطاء أهمية لتلك التجارب. وإلا فإن الأجيال
القادمة إن اتبع كل واحد منها طريقاً دون الالتفات إلى تجارب السابقين،
فإن هذا التصرف يكون تصرفاً صبيانياً، لأنه يؤدي إلى تأخر الأمة ويمنع
تقدمها ويعرقلها.

احترام الفكر

الاعتراض على كل شيء ونقد كل شيء حركة تخريبية. والإنسان
عندما لا يعجب بشيء، عليه أن يأتي وينجز الأحسن منه. فمن النقد والهدم
نحصل على خرائب، ومن البناء نحصل على عمار.

* * *

علينا أن نخشى من الحقد الدفين الصامت أكثر من الحدة والغضب العلني
الصاخب. فالأصدقاء وإن اشتدوا في النقد وجاهاً وعلناً إلا أنهم يتصرفون
كملائكة حفظ وصيانة في غيابنا. أما الأعداء فينصبون الشراك بتصرفاتهم
الليينة، ثم يهجمون هجوم العناكب على فريستها الواقعة في شباكها.

* * *

يقولون: "فلان حساس إلى درجة يتأثر حتى من رطوبة الجو" أفدي مثل
هذا الشخص بنفسه... إذ ماذا نقول لمن لا يتل حتى وهو تحت المطر؟!

* * *

اهتم بكل ما يقال في مجلسك من الأفكار المخالفة لفكرك. ولا تعجل

بردّ من يخالفك في الفكر، بل اصبر حتى النهاية وأنصت واستمع. فقد يكون ذلك الفكر محصول ظروف وشروط أخرى.

* * *

التجربة أستاذ العقل، ومرشد الفكر.

الرؤيا

الرؤيا نافذة من النوافذ المفتوحة على عالم الحقيقة. وتعني رؤية جزء مما حدث أو مما سيحدث من الحوادث رمزاً أو صراحة. فكل رؤيا إشارة وحزمة ضوء من العالم البعيد تنير الظلمة أمام الإنسان بنسبة بُعد ذهن ذلك الإنسان عن الوقوع تحت ضغوط معينة وتحت أسر إحياءات معينة.

* * *

ولأن الرؤيا لا تحتاج إلى عين أو مادة أو ضوء، بل تتم بواسطة الروح والبصيرة، فإن الأشياء المرئية فيها تكون في الأغلب جميلة وواسعة بشكل لم يعتده الإنسان ولم يتصوره. والرؤية الواحدة قد تحوي إشارات ومعلومات كثيرة عن الأمس واليوم والغد بحيث تملأ كتباً. مثل هذه الرؤى ليست نادرة.

* * *

يكاد لا يوجد هناك شخص لم يحلم ولم يشاهد رؤى في منامه. لذا نستطيع القول بأن الرؤية مشاهدة طبيعية للروح. ويستطيع الإنسان بهذه المشاهدة اجتياز سور الجسد والعيش في بُعد آخر. ومن يدري فقد يستطيع حدس أسرار كثيرة حول القدر في نطاق الجيل الذي يعيشه.

* * *

الرؤى التي تحققت كما هي من الكثرة بحيث لو قام كل إنسان بسرد

الرؤى التي شاهدها وتحققت تعابيرها لاحتاج الأمر إلى مجلدات عدة.

* * *

الرؤى تتدلى إلى أفق مشاهدة الإنسان من العالم الآخر حسب صفاء قلب ذلك الإنسان. فكم من رؤيا تسيح فيها روح هذا الإنسان وتسعد بالتجول في عالم من الجمال وفي حدائق من البهجة وترتوي من عيون الكوثر، وتطل من تلك النوافذ الخفية إلى عالم فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر... ترتوي وتثمل وتنشئ.

* * *

نستطيع بفضل الرؤيا إدراك وجود خاصيتين متميزتين عندنا هما القلب والبصيرة. وبذلك نستطيع التحرر من أجسادنا المحصورة في أبعادها الثلاثة. والحقيقة أن الأرواح السامية التي ارتفعت وعرفت الحق وامتزجت به لا تحتاج لمشاهدة العالم الآخر إلى الرؤى بل تستطيع رؤية ذلك العالم وهذا العالم معاً وتعيش الجمال النابع من اللانهاية فتثمل وتنشئ بسعادة لا توصف. ولكن هذا الباب غير مفتوح للجميع، إذ لا يفتح إلا بعد مجاهدة كبيرة وبعد تجارب روحية عميقة.

* * *

الذين يرون ذهن الإنسان مزيلة تحتوي على كل وساحة، أو الذين يبحثون عن هذا الأمر في العالم العكر للأحاسيس الحيوانية يرون في الرؤى التي تهب فيها نسائم الإلهام هبوباً أثراً من آثار كرنفال اللاشعور. مع أن الآلاف من المكتشفين وأصدقاء الحق وجدوا فيها إلهامهم الأول. وسيبقى هؤلاء يحملون شعور الاعتراف بالجميل لهذا المنبع الفيض والمبارك لعالم المثال.

* * *

أما صاحب أعظم روح وأسمائها والذي أغرق الدنيا بالنور،^(١) فقد بدأ

(١) المقصود هو النبي ﷺ. (المترجم)

سيره في بحار الحقيقة والمعرفة بالرؤى. وكان يرجع أحياناً إلى هذا السلم الأول المبارك، وجذب انتباهنا إلى هذا البستان المبارك الذي عده شعبة من بضع وأربعين شعبة من النبوة.

الدين

لم يصل الإنسان منذ وجوده على الأرض وحتى يومنا الحالي إلى الطمأنينة الحقيقية وإلى السعادة إلا في الجو الدافئ للدين. فكما لا يمكن الحديث عن الأخلاق الرفيعة وعن الفضيلة في غياب الدين كذلك لا يمكن الحديث عن السعادة في غياب الدين. ذلك لأن منبع الأخلاق والفضيلة هو الضمير والعنصر الوحيد الذي يحكم الضمير هو الدين الذي هو عبارة عن الارتباط بالله تعالى.

* * *

الدين مدرسة مباركة لجميع الطبائع الجميلة. وطلاب هذه المدرسة هم الناس جميعاً أطفالاً كانوا أم شباباً أم شيوخاً. والذين ينتسبون لهذه المدرسة سيجدون في رحابها الطمأنينة والأمن والهدوء عاجلاً أم آجلاً. أما الباقون خارج هذه المدرسة فسيخسرون كل شيء، وأول ما يخسرونه هو أنفسهم.

* * *

الدين هو مجموعة المبادئ الإلهية التي تسوق الناس بإرادتهم الحرة إلى وجوه الخير. ومن الممكن أن تجد جميع الأسس التي تساعد على رقي الإنسان مادياً ومعنوياً، أي جميع أسس سعادته في الدنيا وفي الآخرة في الدين.

* * *

الدين هو عنوان معرفة الله وتوحيده والوصول عن طريقه إلى صفاء الروح، وإلى تنظيم علاقاته مع الناس باسمه تعالى وفي ضوء أوامره، بل حتى الوصول إلى شعور عميق بالعلاقة مع جميع الوجود والكائنات وحبها.

الذين يردون الدين ولا يتقبلونه يبدأون عاجلاً أم آجلاً بعدم توقير المفاهيم السامية كالعرض والأمة والوطن.

اللاأخلاقية أي البعد عن الأخلاق دنس منبعه البعد عن الدين أي اللادينية وهجره. وكل أنواع الفوضى والفوضوية ليست إلا ثمار الرقوم لهذا البعد والهجر.

وهلاًَّ يجدر بالملاحدين الذين نذروا حياتهم لمعاداة الدين أن يدلونا على فوائد اللادينية ويرشدونا إلى بعض ثمارها؟

الدين والعلم الحقيقي وجهان لعملة واحدة. فالدين يدل الإنسان على الطريق المستقيم الذي يوصله إلى السعادة. أما العلم الذي له هدف وغاية معلومة فهو مشعلة ومشكاة تضيء في ساحتها هذا الطريق.

كل الورود والزهور الجميلة تفتحت في بساتين وحدائق الدين. ها هي مبادؤه وها هي ثمراته اليانعة من الأنبياء والأولياء والأصفياء. وحتى لو حاول الملاحدة عدم رؤية هذه الثمرات عن عمد فإنهم لا يستطيعون مسحها وإزالتها لا من صفحات الكتب ولا من قلوب الناس.

يستند الدين إلى التفكير الرصين والعقل السليم والعلم. لذا فلا يمكن

انتقاد أي موضوع من مواضيعه من هذه الزوايا. والذين يردونه هم إما من أصحاب التفكير السقيم، أو من المخطئين في نظراتهم للعلم وتقييمهم له، أو ينقصهم المنطق الصحيح.

* * *

الدين نبع مبارك لأسس المدنية الحق. وهو الذي يسمو بقلب الإنسان وبأحاسيسه، وبه يستطيع تجاوز عالمه المادي هذا ويصل إلى عوالم أخرى، فينهل حتى الارتواء من منابع الجمال والخير والفضيلة.

* * *

من يبحث عن الفضيلة فعليه أن يبحثها في الدين. فضيلة دون دين، أو دين دون فضيلة من أندر الأمور. فبالدين يستطيع الإنسان أن يدرك معنى الإنسانية فيتميز عن سائر الأحياء. أما الملحد أو اللاديني فهو لا يتميز بشيء عن الحيوان.

* * *

الدين هو طريق الله. أما اللادينية فطريق الشيطان. لذا فالصراع بين الدين وخصومه بدأ منذ عهد آدم عليه السلام واستمر إلى أيامنا الحالية، وسيستمر حتى يوم القيامة.

* * *

الأنبياء كالجبال بين الناس. فكما أن الجبال عامل أمن واستقرار وعامل مساعد لثبات الأرض ولتنقية الجو، كذلك الأنبياء بالنسبة للناس. لذا ذكر الاثنان (الأنبياء والجبال) معا أحيانا واقتربنا معا. أجل! فقد ذكر جبل الجودي مع النبي نوح عليه السلام، وجبل الطور مع النبي موسى عليه السلام، وجبل غار حراء مع محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الاقتران إيماءة وسحب قليل لستار الأستار عن هذا اللغز.

الحرية

الحرية هي عدم قبول الروح سوى المشاعر العلوية والأفكار السامية، ولا تعني الإسار لأي مبدأ سوى مبدأ الخير والفضيلة.

كم من إنسان مغلول بالقيود والسلاسل ولكنه يستطيع الطيران حراً في سماء قلبه وضميره ولا يحس لحظة واحدة بأنه في الحبس وفي السجن. وكم من إنسان يعيش في قصور فخمة ولكنه لم يعرف الحرية الحقيقية ولم يذق طعمها في أعماق نفسه.

الذين ينظرون إلى الحرية وكأنها تعني الانطلاق دون أي ضوابط لا يدرون بأنهم يخلطون بين الحرية الحيوانية وبين الحرية الإنسانية. وبينما شعار الحرية الذي يرفعه الذين يتهالكون لتحقيق الشهوات الجسدية ليس إلا شعاراً حيوانياً، نرى أن الحرية التي تسعى لإزالة العوائق أمام الروح لكي تسمو وتخلق في الأعلى... مثل هذه الحرية شعار إنساني وعلامة على الماهية الإنسانية.

الحرية هي تحرر الفكر الإنساني من كل قيد يمنعه من الرقي المادي والمعنوي بشرط عدم السقوط في وهدة اللامبالاة أو الأنفلات من الشعور بالمسؤولية.

الحرية بالنسبة للإنسان هي الارتباط بالفكر الحق، وعمل ما يرغب فيه بشرط عدم إيذاء الآخرين.

الحرية المعقولة هي الحرية المدنية، وهي الحرية المربوطة بالسلسلة الماسية للأخلاق والدين وبالطوق الذهبي للتفكير السليم.

الحرية التي لا تعطي أهمية للشعور الديني وتشجب الفكر الديني، ولا تعطي قيمة للأخلاق ولا تكون مشتتاً للفضيلة... مثل هذه الحرية داء وبيل تنفر منه الأمة وتهرب منه هرباً من الطاعون. وكل أمة تبتلى بمثل هذه الحرية ستفقد أمنها عاجلاً أم آجلاً، وتفقد أصدقاءها ومحيطها ومن حواليتها.

المدينة

ليست المدينة غنى وارسقراطية ومظاهر فارغة من الوقار أو إشباعاً للرغبات الجسدية أو إنغماساً في الشهوات. بل هي غنى في النفس ورقة في الروح، وعمق في النظرة إلى الأمور واعتراف بحق الحياة للآخرين وتقبل للآخرين وعدم الضيق بهم.

لم تتحقق المدينة الحق إلا في الظروف التي سار فيها العلم جنباً إلى جنب مع الأخلاق. لذا فإن المدينة الغربية التي حسبت كل شيء محصوراً في العلم بقيت مدينة مشلولة. أما المدن الشرقية فقد انعزلت عن العلم وتوقعت على نفسها، وأصبحت الآن تمثل التأخر. أما مدينة المستقبل فستكون مزيجاً من العلم والصناعة للمدينة الغربية، مع فلسفة العقيدة الدينية والخلقية للشرق، وهي ستتمو وتترعرع بهذا المزيج.

المدينة التي لا تستند إلى الفضيلة، ولا تتغذى من العقل ومن الضمير، لا يمكن أن تكون وسيلة لسعادة الإنسانية. كل ما تستطيعه مثل هذه المدينة المزخرفة هو خدمة بعض الأغنياء وبعض أرباب الأهواء. لذا فإيا عار من ينخدع بزخرفها وزينتها.

ولا يحسن أحد أن المدنية هي التقدم في العلوم الطبيعية أو امتلاك
الإمكانيات والوسائل الحديثة كالبواخر والقطارات والطائرات، أو العيش
في المدن الكبيرة ذات الشوارع العريضة والبنيات العالية. بينما يعد أصحاب
العقول المؤمنة هذه الأمور مجرد جزء من المدنية وليست المدنية ذاتها، أي من
الخطأ اعتبار استعمال هذه الوسائل هي المدنية نفسها.

* * *

لكي يصبح الأفراد مدنيين علينا أن نمي بذور الخير الموجودة في جوهر
الإنسان تدريجياً لكي يكتسب فطرة ثانية... هذا هو الطريق. أما الذين
يعدون ملابس الإنسان وقيافته وقيامه بإشباع أذواقه الجسدية مدنية، فهم
بعض منكودي الحظ من الذين انسحقوا تحت المطالب الجسدية، أو من
الذين فقدوا قابلية التقييم الصحيح والمنطق الصحيح.

* * *

لا شك أن الأمم البدوية الوحشية تكون ظالمة وتقوم بالتهب والسلب
والقتل. وبما أن الجميع يعرفون هذه الحقيقة معرفة جيدة، فإن ضرر هذه
الأمم يبقى محصوراً في نطاق ضيق. ولكن ما بالك بالبدوين الذين يصنعون
ويملكون أحدث الأسلحة ويترقبون على الدوام الفرصة لسفك الدماء
ولعقها؟

* * *

إذا كانت المدنية هي قيام أمة بشرح نفسها وإيضاح ماهيتها وكيانها،
فإن عناصر هذا الشرح والإيضاح هي علمها وأخلاقها وآثارها الصناعية.
ذلك لأن التربية الاجتماعية والمعارف والصناعات المختلفة تعطي شكل
المدنية. أما الأخلاق فهي اللسان البليغ الذي يقوم بالإعلان عنها.

حول العلم

الابتعاد عن العلوم الوضعية بحجة أنها تؤدي إلى الإلحاد تصرف صبياني. أما النظر إليها وكأنها تعادي الدين وأنها وسيلة للإلحاد وطريق إليه فهو حكم مسبق وجهل مطبق.

العلوم مفيدة لنا بدرجة قيامها بتأمين سعادتنا والارتفاع بنا إلى المستوى الإنساني اللائق. أما إن أصبحت العلوم والتكنولوجيا الكابوس المرعب لبني الإنسان فليست إلا شيطاناً رجيماً تقطع علينا أماننا الطريق.

لقد قال عالم العصر^(١) للماديين القصيري النظر الذين حاولوا تأليه العلم في بداية عصرنا الحالي: "العلم دون دين أعمى، والدين دون علم أعرج". وهكذا انتقد هذا العالم الهذيان المرعب الذي ساد عصرًا كاملاً انتقاداً لطيفاً. ولا أدري ماذا كان سيقول لو شاهد من هو أعمى وأعرج في الوقت نفسه من بعض معاصرنا الحاليين.

ردّ جميع العلوم الوضعية والادعاء بأنها بأجمعها لا تساوي شيئاً أنموذج للجهل وللتعصب. أما رد كل شيء خارج هذه العلوم فسذاجة وتعصب أحمق. أما الإدراك بأن كل معرفة جديدة تأتي بأكوام من المجاهيل والأسئلة فهو الإدراك اللائق بالتفكير العلمي الصحيح.

العلم والتكنولوجيا في خدمة الإنسان وليس هناك من مبرر جدي للخوف منهما، لأن الخطر لا يكمن في العلم ولا في تنظيم الدنيا حسب مقتضى العلم، بل يكمن الخطر في الجهل وعدم الإحساس والتهرب من تحمل المسؤولية.

(١) المقصود هو العالم ألبرت أينشتاين صاحب النظرية النسبية العامة والخاصة. (المترجم)

العلم المفيد

للعلم وللعلوم الوضعية والتجريبية فروع مختلفة، ولكل فرع فوائده. ومع أن جميع هذه الفروع مفيدة، إلا أن عمر الإنسان قصير وقابلياته محدودة، لذا يستحيل عليه الإحاطة بجميع فروع هذه العلوم. لذا كان على كل فرد تعلم ما يفيده ويفيد أمته، ولا يضيع عمره في ساحات أخرى غير ساحته.

الشباب

الاهتمام بالأجيال الشابة ورعايتها بكل حنان خطوة إيجابية وذات مغزى في صالح الأمة. غير أن هذا الحنان والاهتمام يكون مثمراً ومفيداً بنسبة توجهه لرعاية حياتهم الروحية والقلبية. أما إن توجه الاهتمام لإشباع غرائزهم الجسدية فإنه يقلبهم إلى أبدان دون ارواح... إلى مخلوقات لا تملك إلا أبداناً ضخاماً.

* * *

كل أمة اهتمت بأجيالها الشابة ارتقت. وكل أمة تركت شبابها لتتأثر الشهوات عانت نتيجة إهمالها هذا معاناة كبيرة ودفعت ثمنه غالياً. وما نعانیه اليوم من فساد مستشرٍ وتفسخ مستمر في أجيالنا فهو نتيجة طبيعية لإهمالنا. أجل! فبينما كانت رؤوسنا تتجول فوق السحب، لم نشعر بالثعابين السامة التي تسللت من بين أرجلنا إلى مخادعنا. وهكذا هيأنا وضعنا الحالي بأيدينا.

الانحراف

كم من مرة أبحرنا إلى مجاهيل مخيفة بسبب أساطير وأوهام خيالية. ولكن لم نحصل على شيء... لم نحصل لا على "ليلي" التي همنا على وجوهنا في

الصحارى بجبها، ولا استطعنا الرجوع إلى الشاطئ الذي أبحرنا منه.

عندما يبدأ أي مجتمع بالابتعاد عن جذوره، تتغير زاوية نظره وتنقلب قيمه ومعاييرهِ رأساً على عقب. في مثل هذا المجتمع يدعى الجهاد "بغياً" والظلم "عدالة" وتُستمطر اللعنات على التاريخ... تكتب قصائد المديح للأمور الشنيعة وللقاذورات، ويُذم الأدب والطهر، ويهتف بحياة الرذيلة وعدم الحياء... تُبذ العفة وتكون الوقاحة أمراً طبيعياً. يتم الهجوم بكل دناءة لمن يرتبط بالآمة وبالماضي. ويعلو قدر الذين انقطعوا عن جذورهم وأصالتهم.

التهافت على الاختلاط بالجنس الآخر والثروة معه والرغبة في صحبته على الدوام هو إما نتيجة ضعف أو فساد في الطبع أو أماراة على حمل صفات ذلك الجنس.

نية الخدمة

لا أدري ما الفرق بين حياة من لا يهدف إلى خدمة الإنسان وبين حياة المتوحشين البدائيين المملوءة بكل الرغبات الجاحمة؟

تأييد وتشجيع كل خدمة في سبيل الحق والصدق والاستقامة إشارة إلى احترام وتوقير الحق. وأنا أقول للذين يرون الحق منحصراً في مسلكهم ومشرهم فقط: صدقوني! ستبقون وحدكم عاجلاً أم آجلاً. وستغيرون على الدوام نظراتكم إلى الحق ولن تستقروا على شيء أبداً.

النظرة الميكافيلية

كان من المعلوم في السابق أن طريقة الدعاية للنفس والتعريف بها بواسطة الهجوم على الآخرين وإدانتهم. والتشنيع عليهم طريقة خاصة لجماعة نفاق في الشرق.^(١) ولكن هذه العادة انتشرت الآن انتشاراً كبيراً بحيث أن العديد من الذين نذروا أنفسهم للنضال في سبيل الحق بدأوا يشاركون في مثل هذه الأراجيف. فيا ويح من يبحث عن الحق بطرق باطلة... ويا ويح لجميع الميكافيليين...

بعض الذين في قلوبهم مرض

المتدين الحق هو الإنسان الخلق خلقاً رفيعاً في الوقت نفسه. فلا تجد في عبادته تصنعاً ولا في معاملته خداعاً، ولا في قلبه حقداً أو نفاقاً. التصنع يبعد الإنسان عن الحق تعالى والخداع يُبعد عن الحق تعالى وعن الخلق. أما الحقد والكراهة والنفاق فسبب لذكره باللعنات.

فساد الميزان

لقد أكرهت الأمة منذ السابق وحتى اليوم بقبول جميع الفاسدين وجميع السيئات بتخويفها من سيئات أكبر وأفظع. حتى اضطروا الأمة على الرضى بها باعتبارها "أهون الشرين". وذلك على غرار: "من رأى الموت رضى بالحمى..." هذه الفكرة خاطئة أياً كان مصدرها الملعون والنكد، فإن قبول هذه النسبة باسم عقائدنا ونظرتنا التاريخية وعقائدنا وأعرافنا لا يعنى سوى قبول جميع أنواع التفسخ والانحلال والانحطاط الذي لا نهاية له.

(١) المقصود هنا جماعة الشيوعيين لأنها ظهرت في روسيا، وهي تقع في شرق تركيا. (المترجم)

الخطبة

إن وضع خطة مدروسة بشكل جيد لإنشاء ورشة أو مصنع يعطي الأمل بدوام هذه الورشة وهذا المصنع وبمستقبل جيد لهما. أما إن لم يتم وضع مثل هذه الخطة المدروسة والحساب الدقيق فالمصير المحتوم هو الخسران المبين. إذن فما ظنك بالتخطيط الذي يتناول أمور أمة كاملة، ويتناول إدارة دولة، وإدارة الإنسان، وهي أمور حافلة بالمعضلات وبالأحاجي والألغاز لكونها متعلقة بهذا الإنسان اللغز.

حول الزمن

عندما نتناول الطعام والشراب ونودعهما في أجسامنا نلتذ ونستفيد منهما. كذلك الأمر بالنسبة للزمن، فنسبة تملكنا للثواني والدقائق والأيام والأسابيع نحس بلذة العيش ونتمنى ألا تمر هذه الأيام بسرعة.. أي أن الحياة نعمة لا يمكن الشبع منها إن كانت تحمل في طياتها وعوداً وبشارات لنا لأيامنا الحالية ولمستقبلنا. ولكنها تكون عبئاً ثقيلاً إن كانت دون هدف أو غاية. عندما نتناول طعاماً أو نشرب شراباً ونودعهما في أجسامنا فإننا نحس بلذة.

الغريباء

ليس الغريب من ابتعد عن وطنه وبيته وعن أصدقائه وأحبائه، بل هو الإنسان الذي لا يفهم المجتمع حاله ولا طريقه وسلوكه، ولا يفهم مبادئه العالية ولا أحلامه المستقبلية ولا تضحياته بسعاداته الشخصية في سبيل الآخرين. وهو الإنسان الذي كثيراً ما يقع في تناقض مع قوانين مجتمعه بسبب همته العالية فيتعرض للأذى وللوم وللاستنكار.

الدعاء على...

كما توجد أماكن ونقاط حساسة ومهمة وحيوية في جسد الإنسان، كذلك توجد نقاط مهمة وحساسة في بنية الأمة كالعقيدة والحاسة التاريخية وثقافة وفكر الأمة. وكما يتهاوى الإنسان ويسقط أرضاً إن تعرض موضع حيوي وحساس في جسده إلى ضربة، كذلك تسقط الأمة إن تعرضت إحدى هذه النقاط الحساسة لجرح بليغ. لذا فألف لعنة على من يتلاعب بعقيدة وتاريخ هذه الأمة! وألف لعنة على أعداء ماضي هذه الأمة! وألف لعنة على من خرب فكر وثقافة هذه الأمة! وألف لعنة على المتشائمين الذين يرون مستقبلنا مظلماً ويوهوننا بذلك!..

الخوف والأمل

الخوف من الناس يشل حركة الإنسان. أما الرجاء فيما أيدي الناس فيسوق في كثير من الأحيان إلى خيبة الأمل واليأس. والحل الوحيد لعدم الخوف من أي أحد هو الخوف من صاحب الأمر تعالى اسمه. أما الحل الوحيد لعدم الوقوع في اليأس فهو الاتكال والاعتماد على ذي القدرة الذي ينجز ما وعده على الدوام.

دستور رجل الدعوة

إن قيامنا -بنية متوجهة إلى الله تعالى- بخدمة الإنسانية، والاحتفاظ بدعوتنا فوق كل رغبة وهوى، وفوق كل الشهوات والرغبات الدنيوية ومنافعها، وبعد معرفة الحقيقة والوصول إليها والاستعداد للتضحية بكل ما نحب وبكل ما تعلقت قلوبنا به، والعزم على هذا بكل ثبات وقرار، وتحمل

جميع المشقات والمصاعب التي تتجاوز تحمل الإنسان في هذا السبيل، وفتح الطرق المؤدية إلى سعادة الأجيال القادمة، والتهيو للانسلاخ من كل المنافع المادية والمعنوية، والعيش لسعادة الآخرين، والرضا بإشغال الصفوف الأولى عند أداء الخدمة والصفوف الأخيرة عند المغام، أي الابتعاد عن كل منافسة من أجل المنصب أو الجاه... هذه هي غايتنا التي لا يمكننا التفريط بها.

* * *

كما أن الخصال الحميدة الموجودة لدى الدعاة الذين يشغلون الخطوط الأمامية في أداء فعاليات الخدمة ستنتقل إلى الصفوف الخلفية بجميع أوجه الخير والجمال الموجودة لدى الدعاة، كذلك فإن جميع الخصال القبيحة ستنتقل أيضا إلى الصفوف الخلفية وتؤدي إلى ابتعاد أفرادها عن ذواتهم وجدورهم ويصبحون مقلدين مساكين للغرب.

فدائيو المحبة

أبطال المحبة فقط هم الذين يستطيعون إنشاء عالم المحبة والنور والسعادة في المستقبل... أبطال المحبة على شفاههم بسمة المحبة، قلوبهم عامرة بالمحبة، نظراتهم تشع بالمشاعر الإنسانية، يغمزون لكل غمرة محبة.. ويرون في شروق الشمس وغروبها وفي بريق النجوم وخفوقها رسائل محبة.

* * *

إن فدائيي المحبة ينظمون أنفسهم بشعور المحبة تجاه بيتهم. وحتى حدتهم وغضبهم له طابع المهابة والجدية، لأنه يسعى للتنظيم وللتقويم، أي يكون على الدوام مفيدا وبناءً.

ممثل على جميع المستويات

يجب أن يكون هناك في كل سلم من سلم خدمة الدعوة ممثل متصف بالصدق والاستقامة والأمانة وبشعور وإحساس بالواجب، وبإدراك يفوق إدراك أمثاله وله، حدس يستطيع به رؤية المستقبل والحاضر مع خلق وعفة. ويعني هذا أن الإداري الذي يفقد صفة من هذه الصفات يعاني من ناحية سلبية بشكل جدي، وهذا سوء حظ كبير بالنسبة للذين يعملون معه.

وحدة المظهر والمخبر

على الذين يحاولون أن يصلحوا العالم إصلاح أنفسهم أولاً. أجل! عليهم أن يطهروا أولاً قلوبهم من الغل والحقن والحسد إلى جانب استقامتهم في السلوك وفي التصرف وبعدهم عما لا يليق بهم. وبهذا فقط يستطيعون أن يكونوا قدوة لمن حولهم.

أما من لم يسيطر بعد على عالم قلبه ولم يعلن الحرب على نفسه الأمارة. ولم يفتح عالم أحاسيسه الجوانية... مثل هؤلاء وإن تكلموا بمعسول الكلام، وإن كانوا في قمة البلاغة فإنهم لن يستطيعوا إثارة القلوب والأرواح ولو استطاعوا ذلك فلن يستطيعوا هذا طويلاً.

الروح المثالي

الذين يبتغون إرشاد الناس وتنويرهم، والذين يبذلون جهودهم في سبيل سعادتهم، ويمدون أيديهم إليهم لانقاذهم من الورطات الكثيرة للحياة، هم أصحاب القلوب الكبيرة الذين فهموا أنفسهم. وهم مثل ملائكة الرحمة وملائكة الحفظ والصيانة في المجتمع الذي يعيشون فيه، يتصارعون مع

مصاعب المجتمع ومصائبه، ويتصدون للرياح وللعواصف ولإطفاء الحرائق، وهم على أهبة الاستعداد لكل طارئ.

* * *

اختبارنا للمهن بنسبة استعداد وقرب هذه المهن لأداء الخدمة الإيمانية دليل على احترام الحق ومعرفة قدره. والذين يمشون في هذا السبيل على الرغم من كل الإغراءات التي يحفل بها المجتمع هم الذين سيبنون المستقبل ويكونون مهندسيه ومعماريه.

انتصار الخير والجمال

الخير والجمال والصدق هو خميرة الفضيلة في الدنيا. ومهما يكن من أمر فإن الدنيا متجهة لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً نحو هذا الخط، ولن يكون باستطاعة أحد منع أو إعاقة هذا الأمر.

يومان لكل إنسان

نحن نؤمن بأن لكل إنسان يومين... يوم اعتيادي يعود إليه، ويوم آخر يعود إلى الأجيال القادمة. وإذا كنا نبكي ونتحب من مصاعب اليوم الأول، فإن قلوبنا مفعمة بالأمل والسرور لليوم الثاني ثقة منا بالرحمة اللانهائية للرحمن الرحيم وبعنايته الواسعة.

الإفراط والتفريط

قد يكون هناك إفراط أو تفريط في كل فكر... وكل منهما في حكم

السم القاتل. أجل! فعندما ندعو إلى البساطة في العيش فلا نعي أن نلبس خرقة بالية أو نأكل في صحن مكسور أو نسكن بيتاً تعشعش فيه العناكب... من يعتقد هذا مخطئ. كذلك يخطئ من يظن العيش عبارة عن لبس ملابس فرنجية أو ثوب سهرة فاضح.

الوسيلة الباطلة

النظم القائمة على الكذب وعلى المبالغة مصيرها الانهدام على رؤوس مؤسسيها والزوال ولو بعد حين. ثم لا يبقى منها سوى ذكريات أليمة وسوى حسرات.

الأرواح المجرمة

كثيراً ما يحسب الإنسان الآخرين مثله وينظر إليهم من خلال نافذة قلبه. ومن خلال الضباب الكثيف والدخان الموجود هناك يرى الجميع رؤية عكسة. لذا فجميع القرارات التي يصدرها في هذه الحالة تكون قرارات ظالمة ومظلمة. لذا فالشخص الأناني الذي يعيش هذه الحالة يرى أن كل شيء حوله قد انتهى أمره وفسد. ولكنه لا يدري أنه هو الذي انتهى أمره في الحقيقة.

جيل البكاء والضحك

ما أسوأ حظ من تقدم به العمر ولم يصل بعد إلى فهم وشعور العبودية لله تعالى! وما أكثر خسارته مع تيسر الريح له. ولو أدرك هذا لكان الأجدد به أن يبكي بحرقة ويتنحب نداماً وأسى بدل الضحك والقهقهة.

العمر المبارك

أطول الناس عمراً ليس أكثرهم عيشاً، بل هم الذين استفادوا من عمرهم واستثمروه. لذا يمكن أن يكون هناك شخص قصير العمر عاش مئة سنة. ويمكن أن يكون هناك شخص عمره خمس عشرة سنة ولكن قامته تطاول السماء بأعماله المملوءة بركة وفيضاً.

وحدة المشاعر السامية

الأعداء الظاهريون للعرض والشرف قوم ساقطو الأخلاق. أما الذين يعادونهما خفية فهم عديمو التربية من الذين لا يخافون الله ولا يخشونه. والحقيقة أن الذين لا يحملون المعايير الخلقية ولا يهتمون بمفاهيم العرض والشرف لا يمكن أن يحملوا المشاعر الوطنية ولا مشاعر الارتباط بالأمة.

طريق الأمة

طريقنا هو طريق تأييد كل من يقدم خدمة للأمة ويسعى لخيرها ومساندته ومساعدته. لن نرد على من يكفّرنا أو يضلّلنا ولن نشترك في لعن هؤلاء أو الدعاء عليهم.

احترام الإنسان

عندما يموت الحيوان يُنسى، ويضيع قبره، ولكن الوضع يختلف عند الإنسان. وأنا لا أدري إن كانت الأمم التي لا تحافظ على ذكريات الأجداد وقبورهم تدرك أنها قد نزلت بهم إلى مستوى الحيوانات؟ والحقيقة أن احترام الأموات نوع من الأمن المهدى إلى أحياء المستقبل ورجاله.

أكبر رأسمال

الضمير ومفاهيم الأخلاق والتربية والخلق والدمث والكياسة والرفقة رأسمال كبير في كل مملكة... رأسمال لا يتأثر بصعود أو هبوط الأسهم في الأسواق المالية. والذين يملكونه يشبهون التجار من ذوي السمعة الجيدة والمكانة المرموقة الذين يستطيعون التعامل مع الجميع حتى وإن لم يملكوا رأسمالاً آخر.

الجهل

الجهل قناع على وجوه الأشياء، والشخص الذي لا يمزق هذا القناع عن وجهه شخص نكد الحظ لا يستطيع الفوز أبداً إلى الحقائق الكونية السامية. وأكبر جهل وأعظمه هو الجهل بالله تعالى. وعندما يترافق هذا الجهل مع الأنانية فإنه يتحول إلى جنون لا يمكن الشفاء منه.

الصبيانون

ثناء الكبار علينا حاجة نفسية لنا، وأمانة من أمارات عظمتهم. لذا يجب الاحتفاظ بالأدب والاحترام وعدم افتراء أي تصرف متصف باللامبالاة تجاههم، وعدم الوقوع في شطحات "البكتاشيين" والويل لمن يسيء استخدام الثناء الموجه اليه من الطائشين والمستهترين من أصحاب التصرفات الصبانية.

احترام الأفكار

الإنسان العاقل ليس هو الإنسان الذي يدعي عدم وقوعه في الخطأ أو يدعي عدم حاجته إلى أفكار الآخرين. بل العاقل من يعرف أن الخطأ حصلة بشرية، لذا يتوجه إلى تعديل أخطائه وتقييم الأفكار المختلفة ويستفيد منها.

نية الخير

من أهم الطرق المؤدية إلى كسب قلوب الآخرين هو البحث على الدوام عن أي فرصة لتقديم الخير والخدمة إليهم دون إضاعة أي وقت. وكم نتمنى لو روضنا قلوبنا على عمل الخير على الدوام.

عمق الأحاسيس

يتوسع وينمو عالم الحس والشعور لدى الإنسان بنسبة طردية مع طبيعة الحياة التي عاشها والآلام والمصاعب التي عاناها. والإنسان الذي عاش على هامش الحياة دون فكر ولا معاناة لا يمكن أن تنمو أحاسيسه حتى ولا ملكاته الأخرى، ولا تكون لمثل هؤلاء في أي وقت علاقة قوية مع الوجود.

الإرادات العالية

الإرادة العالية ومثانة الخلق لو غُلِّيتا في قدر خمسين مرة وصُبَّتا في قوالب مختلفة لما فقدت من ذاتيتها وماهيتها وشخصيتها شيئاً، بل تبقى محافظة عليها. ولكن ماذا نقول لمن يغير اتجاهه وفكره كل يوم مرات عديدة من أصحاب الإرادة الضعيفة.

الحياة الحقيقية

الحياة اسم للبقاء حياً في عهد التفتح والبهجة في الطفولة، وفي عهد التوتر الصوفي وروح الجهاد في الشباب، ورغبة الالتقاء بالأحباء السابقين في عهد الشيخوخة. لذا فما أمر وجهة النظر الإلحادية التي ترى الحياة كوميديا

مرة وتراجيديا مرة أخرى. فقتلت بذلك شوق الإنسان ورغبته في الحمد والشكر.

التصور البدوي

إن تخلقت التصورات حول محور مبدأ سام، ووجد الخيال معونة من العقل ومساعدة، وصل الإنسان بكل نجاح إلى أفكار نيرة وإلى نجاحات متتابة. وعلى العكس من ذلك فإن الخيالات الساذجة لا يكون لها أي عون، لأي تقدم علمي ولا للوصول إلى أي حقيقة.

الخطوة أولاً

يجب عند القيام بالتخطيط من أجل تحقيق خدمة أو إنجاز عمل دراسة العوائق المحتملة بجانب العوامل المساعدة والإيجابية. بذلك فقط يتم تلافي نقد القدر عند ظهور المشاكل والمعوقات، ولكي لا تهتز ثقة الآخرين بنا.

حول اللغة

اللغة نعمة كبيرة من النعم التي أسبغها الرحمن الرحيم على الإنسان. فيها يتغنّى الإنسان بإنسانيته، وبها يتوجه نحو العلم، وبها يعيش في الأجيال القادمة. لذا فهل يدرك من أفسد هذه اللغة مدى الجريمة التي ارتكبها.^(١)

(١) يذكر المؤلف هذا الأمر بالنسبة للغة التركية التي تم إفسادها بإدخال الكلمات الأجنبية (كالفرنسية والإنجليزية...) وباختراع كلمات جديدة مقابل الكلمات العربية التي تم حذف أكثرها. (المترجم)

الوحدة

الإحساس بالوحدة هو الإحساس الذي ينتاب أصحاب القلوب البائسة ممن لم يعيروا قلوبهم للأبدية، ولم يملأوا أرواحهم بفكرة الخلود. وهي مشكلة لا يرجى لها شفاء. والظاهر أن هؤلاء لا يمكن أن يتخلصوا من ضباب التشاؤم ولا يستطيعون تأسيس علاقة محبة وصداقة مع الوجود كله إلا عندما تثب الأحاسيس وتنشط بالعقيدة فتري أرواحهم الوجه الحقيقي للوجود.

التوتر المفقود

كل نجاح هو نتيجة لمعاناة وتوتر وتعبئة سابقة. وهو بداية وسبب لنجاح تال، ولكن بشرط ألا يرتخي الواصلون إلى الفوز وألا يسكرهم النجاح فيرتخوا ويكسلوا.

الشميون

كما يوجد بين الناس من يمكن شراؤه بأجنس ثمن وأرخص سعر، كذلك هناك من لا يمكن شراؤه بملء الأرض ذهباً وجواهرًا. والفئة الثانية هم الذين يُعلنون الأمة ويرقونها. والناس الغالون كأمثال الغيوم المحملة بالأمطار يحملون على الدوام بالمبادئ العالية وبالفضائل السامية. وسواء أعرفوا ذلك أم لم يعرفوا فكل أرض يطؤونها تختضر من بعدهم.

قال عمر المختار للإيطاليين: "إنني أموت، ولكنني سأخلد. ولكن مصيركم أنتم إلى الموت". إن المسلم يبيع حياته بثمن غال جدا... يعطي حياة فانية ليكسب مقابلها حياة خالدة. أما الصحة التي تربطنا بالحياة فتشبه

زهرة لا يدوم جمالها سوى بضعة أيام، أي تشبه أوراق الأزهار. وهذه الأوراق عندما تكون نضرة تجلب إليها الأنظار. أما إن ذبلت فلا يهتم بها أحد ولا تبقى لها أي قيمة.

الأدب

الأدب هو اللغة البليغة للبنية الروحية والفكرية للأمة ولدرجة نضجها. والأفراد الذين لا يمتلكون البنية الروحية نفسها والنظام الفكري نفسه، ولا يشتركون في درجة النضج، يستحيل على مثل هؤلاء الأفراد التفاهم فيما بينهم حتى وإن كانوا منتسبين إلى الأمة نفسها.

والكلمة أهم واسطة لانتقال الأفكار من ذهن إلى آخر، ومن قلب إلى آخر. والذين يحسنون استعمال هذه الواسطة من أبواب الفكر يستطيعون جمع أنصار عديدين للأفكار التي يريدون إيداعها في القلوب وفي الأرواح، فيصلون بأفكارهم إلى الخلود. أما الذين لا يحسنون هذا ولا يستطيعونه فإنهم يقضون أعمارهم في معاناة فكرية ثم يرحلون عن هذه الدنيا دون أن يتركوا أثراً فيها.

كل فروع الأدب تعد نوعاً خاصاً من أنواع التعبير حسب العناصر المختلفة التي يستعملها والأهداف التي يرمي إليها، أي تغدو لغة خاصة لذلك الفرع من الأدب ومع أن الجميع يستطيعون فهم هذه اللغة بدرجات مختلفة، إلا أن الأديب والشاعر الذي يستعمل تلك اللغة بمعناها الحقيقي هو الذي يفهمها حق الفهم.

وكما يفهم الصاغة في الذهب والفضة، فإن الأدباء وأصحاب البلاغة

هم الذين يفهمون جواهر الكلام. فالدابة قد تأكل زهرة واقعة على التراب، وقد يدوس عليها من الناس من لا يملك حساً رقيقاً أو تقديراً صحيحاً للأمر، أما الإنسان فيرفعها من الأرض ويشمها ويضعها على صدره.

* * *

يجب تقديم الأفكار السامية والمبادئ السامية بأسلوب بليغ له قدرة النفوذ إلى الأذهان وتحريك القلوب وإثارتها. وإلا فإن الكثير من هواة الزينة والزخرف في الكلام لن يلتفت إلى جواهر المعاني العميقة إن قدمت لهم في ثياب مهلهلة.

* * *

لو لم يكن الأدب موجوداً ما كان بإمكان الحكمة أن تأخذ مكانها الحالي ولا الفلسفة أن تصل إلى الأيام الحالية، وما كان بإمكان الخطابة أن تؤدي دورها. ومن جانبها قامت الحكمة والفلسفة والخطابة، كل من زاويتها ومن ساحتها بتقديم ثروتهما كرأس مال ومادة لا تنتهي للأدب مما أكسبته عمراً مديداً وخلوداً.

* * *

الأدباء والشعراء بترنهم بالجمال الباطني والظاهري، أي الجمال في الأنفس وفي الآفاق يشبهون عازفي الناي. والناس يفهمون بواسطتهم معاني الأصوات الصادحة من هذا الكورس الغني، ولكن من لم يُرزق رقة الإحساس والشعور لا يستطيع فهم اللهب المشتعل في أفئدة هؤلاء مثلما لا يستطيع غليظ الحس لا فهم نافخ الناي ولا فهم نغمات الناي.

* * *

كل فرع من فروع الفن - ما دام منبعه نظيفاً وطاهراً - وكل أثر فني يعرض جمالاً خاصاً وثنيناً، كل من عالمه ومن جوه وإقليمه، ويعرض زهوراً وثماراً، وطعماً وعطراً خاصاً بكل ثمرة وبكل زهرة.

ظاهرة الأدب - مثلها مثل غيرها من أشكال الفنون - تصل إلى الخلود

بتمازج الحدس مع العالم الخارجي، وبخاصية تجاوزها لأبعاد الزمان والأهداف القريبة.

لذا كان من المهم جدا لكل فنان تجاوز كل شيء مرئي ومحسوس، وفتح صدره وقلبه للنسائم التي تهب من الآفاق البعيدة.

* * *

يجب أن يكون كل كلام مستعمل في شرح المقاصد أو توضيح المعاني - سواء أكان نثراً أم نظماً- ظرفاً لهذه المعاني ومحفظة لها، وإلا يقوم بإلقاء أي ظل عليها، ولا أخذ مكانها. فإن قامت هذه المحفظة -حتى وإن كانت من الزبرجد واللؤلؤ- بإلقاء ظل على هدف الكلام وغايته ومقصده، فقد الكلام تأثيره وقوته، وكان قصير العمر.

* * *

بجانب كون اللغة وسيلة تعبير الأفكار والمفاهيم، فلها علاقة وثيقة مع مواضيع الفن والجمال. وكلمة الأدب هي التعبير عن هذا الجانب في اللغة.

* * *

العنصر الأساسي في الأدب هو المعنى. لذا يجب أن تكون الكلمات المذكورة قليلة وقصيرة وغنية بالمعاني. ومع أن البعض حاولوا شرح هذا الأمر كما تناوله القدماء بمواضيع البيان والبديع، أي بفنون التشبيه والاستعارة والكناية والتلميح والجناس... إلخ إلا أنني أرى أننا يجب أن نبحث عن الكلام العميق عند المفكرين من ذوي القلوب الملهمة التي تحيط بالوجود وتعرف كيف تتسع قلوبها للوجود كله، وذوي الخيال الواسع الذين نجحوا في رؤية الدنيا والآخرة وجهين لحقيقة واحدة، والذين يملكون إيماناً عميقاً وفكراً تركيبياً قوياً.

* * *

كما توجد مدنيات مختلفة وثقافات مختلفة في هذه الدنيا، كذلك هناك

أنواع مختلفة من الأدب. فإن جميع هذه الأنواع تعرض لنا وجهها عالميا واحداً
للأدب لوجود حب الطبيعة بكل خطوط جمالها وأنغامها في لبه وجوهره.

* * *

قد يختلف الأثر الأدبي وانعكاسه حتى لدى الناس الموجودين في المنطقة
نفسها وفي البلد نفسه. وهذا ينبع من اختلاف الزوايا التي يتم بها النظر إلى
الأمر وإلى الأحداث وإلى طبيعة المبادئ والعقائد التي يعتنقها الأديب وإلى
القيم الأخرى التي يقبلها أو يردّها ويرفضها. فالنعمات التي يترنم بها شخص
في قعر واد قد تبدو نعمات ناشزة للشخص الموجود في قمة الجبل، ويرد
الأمر نفسه بالنسبة لنعمات الموجود في القمة للشخص في الوادي. فقد تبدو
له همهمة غير مفهومة.

* * *

الأثر الفني الجيد له علاقة قوية بجودة العناصر الداخلية فيه. وجودة هذه
العناصر متعلقة بجودة أجزائها. فعندما لا يوجد جوهر نفسي متين لا يوجد
إحساس طاهر. وعندما لا يوجد إحساس طاهر لا تظهر آثار فنية قيمة، ولا
أساليب كألسنة اللهب.

* * *

الأديب كالفنان، يبحث دوماً في ألوان الكون وخطوطه وأشكاله عن
نفسه. وفي اللحظة التي يجد فيها ما يبحث عنه ويعبر عنه يكسر قلمه ويرمي
بفرشاته ويغيب بذهول وإعجاب عن نفسه. لذا فمن أراد أن يبحث عن
العظماء في الفن وفي الفكر، فليبحث عنهم بين المفكرين المؤمنين بالحق تعالى
والذين لا يستبدلون بعبوديتهم شيئاً.

الشعر

ليس الشعر عند القلوب الحساسة إلاّ تعبيرا عن الجمال والتناسق الموجود في روح الكون، وعن البسمة الموجودة في جمال الوجود. ومن بين هذه القلوب الحساسة قلوب بمثابة المحبرة، وأنفاس روح القدس حبرها.

* * *

الشعر هو بذل الجهد في محاولات البحث فيما وراء هذا العالم. وتختلف أصوات ونفحات الشعر حسب حالات الشاعر وحسب العمق النفسي له. فتكون أحيانا مثل شلال هادر، وتكون أحيانا أرق من ورق الورد. لذا فكل كلمة للشعر وكل صوت لا يمكن فهمه بحق إلاّ بعد فهم ومعرفة الحالة الروحية التي فجرت ذلك الشعر.

* * *

يولد الشعر ويأخذ شكله حسب إيمان الشاعر الذي يؤثر في أحاسيسه ونظرته للشعر وحسب ثقافته وطرّاز تفكيره. ولكن المنبع الوحيد الذي يعمق الشعر، ويعلو به فوق مستوى الإدراك هو الإلهام. ففي القلب المتهيج بالإلهام تصبح الذرة شمسا والقطرة بحرا.

* * *

الشعر لحن عشق ووجد من العالم البعيد يضيء الحاضر وينير درب المستقبل. ففي مملكة الشعر الحق، تصل الأنظار إلى النور، وتقرب المسافات البعيدة، وتبلغ الأرواح عزما وشوقا لا ينطفآن.

* * *

الأشعار كالأدعية، تعبر عن العالم الداخلي للإنسان وبكل ما يموج فيه من شوق وحزن، ومد وجزر. وبنسبة امتزاج الفرد بالحقيقة العليا يصبح الشعر أنفاساً لاهوتية. والحقيقة أن كل مناجاة شعر، وكل شعر مناجاة.

وذلك بشرط أن يعرف الشعر كيف يفتح أشعرته نحو الالاهاية.

* * *

الشعر المخلق في سماء الفكر الصافي بأجنحة القلب وبقوة الروح والمتغذي من فكر الخلود لا يهتم كثيراً بالتفكير الوضعي مثل العلوم. فهو لا يتناول الأشياء المحسوسة إلا كوسيلة، لأن هدفه هو البحث عن المجرد واصطياده.

* * *

إذا كان الشعر يستطيع تصوير كل إحساس وفكر، ويمرر جميع التصورات من أشعة العقل وينجح في الاحتفاظ بهذه العناصر الخفية - الشبيهة بنسيم رقيق في العالم الجواني للشاعر - حية حتى ظهورها بشكل كلمات وحمل، فإن مثل هذا الشعر مرشح للبقاء حياً ونضراً على الدوام. وإلا فإن ما يقدم كشعر يشبه خاتم نحاسي مزين بأحجار الزبرجد أو قلادة من الماس الزائف.

* * *

ولأن هدف الشعر هو البحث عن ذلك "الموجود المجهول" لذا فإنه صوت صعب فهمه ذو أبعاد كثيرة، ويمر من دروب مضببة فيها ظلمة السحر في إقليم سدت معظم مسالكه. ولذا ففي كل كلمة أو جملة لشعر حقيقي تختبئ أصوات مجهولة، مثل الأصوات الغامضة التي ترن في غرف قلعة مهجورة فتبعث القشعريرة في الأجسام.

* * *

الشعر هو حركة قلب وانفعال روح ودمعة عين. والحقيقة أن دموع العين ليست إلا شعراً صافياً تحدث الكلمات.

الشعر زهور وورود لا تذبل للشاعر، وعطر لهذه الزهور والورود منتشرة حوالها. فإذا كانت تربتها صالحة وماؤها نقياً وبذورها معلومة فلا يمكن للإنسان أن يشبع من ألوانها وعطورها.

* * *

هناك من الشعراء من يتحدث دون أن يفهم، وهناك من يفهم دون أن يتحدث، لذا فمقابل الكلام الخراف للقسم الأول منهم، يستطيع القسم الآخر أن يوصل إلى الإنسان أشياء كثيرة دون كلمات ولا جمل، بل بنظراته وأطواره وبسيما وجهه.

من الخطأ أن نفهم الشعر أنه كلام موزون فحسب. فكم من نثر يعد شعراً في القمة بما يملكه من جاذبية للروح ومن مضمون ومن تعبير يثير الإعجاب والذهول في القلوب.

والشعر - مثله في ذلك مثل أي فن آخر - إن لم يحتضن اللاهائية والخلود كان عقيماً وشاحباً. ذلك لأن روح الإنسان المفتونة بالجمال اللاهائي، وقلب الإنسان المتعلق باللاهائي ووجدان الإنسان الذي لا يشبعه شيء سوى الأبدية يهمس في أذن الفنان أن ينقب دوماً في المفاهيم والآفاق البعيدة البعيدة. والفنان الذي لا يحس بهذا الأنين الصادر من قلب ومن روح ومن وجدان الإنسان يقضي كل عمره بتقليد الأشياء الظاهرية الملموسة، فلا ينجح أبداً في احتراق هذه الستارة المزخرفة ومشاهدة ما وراءها.

عندما لا تتم التضحية بالشكل من أجل المعنى، ولا المعنى من أجل الشكل في النظم، بل على العكس عندما يرتبطان مع بعضهما ارتباط الروح بالجسد، يصل آنذاك إلى مستوى من التناسق والتلاؤم يحبه كل وجدان. وفي شعر كهذا لا يخطر على البال اقتراح أي أسلوب جديد له.

للشعر وجه خارجي تشكله الكلمات والجمل والموازين وأسلوب الأداء. أما وجهه الباطني والداخلي فمتعلق بالروح التي نراها تبحث على الدوام عن

الجميل الجميلة جمال الورود وجمال أجنحة الفراشات وعن الكلمات التي
تحدث الشرارات في الأماكن التي تقع عليها وعن التعابير التي تنبئ أنين الناي
لكي تستطيع التعبير عن الأفكار الموجودة في خميرتها. وعندما تجدها تضعها
في أماكنها الصحيحة. وهذا ما نطلق عليه اسم تحول الشعر إلى موسيقى.

* * *

الأسرار والإيماءات والإشارات أحد منابع الشعر، وهي تكسب الشعر
سعة ومساحة أكبر. ولكن هذه المساحة يجب أن تبقى داخل حريم الشعر
وداخل أسواره. ومع أن الشعر يتوسع ويتسع ويتلون بالألوان العديدة
لتداعي المعاني المختلفة، إلا أنه يبقى نفسه.

* * *

الصبغة السائدة في الشعر هي نماذج الفكر مع العاطفة وتداخلهما معاً.
إلا أن هناك عنصرين مهمين وراء الفكر ووراء العاطفة والشعور يحكمان
هذا الفكر وهذا الشعور ويظهران نفسيهما بوضوح وهما النية والبصيرة
حيث يعكسان لونهما في كل بيت من أبيات الشعر. وعندما ينزلق الفكر
ويكاد أن يقع يقومان بالأخذ بيده ومعاونته، ويكونان مصباحاً سحرياً ينير
الطريق أمام الأحاسيس والعواطف والشعور.

* * *

الشعر هو أنفاس المجتمع الذي تموج فيه الآلام والآمال والعواطف الجياشة
وشعور الحسد والحقد وخيبة الرجاء. أما الشاعر فهو تارة رثة هذا المجتمع
وقناة أنفاسها، وتارة لسانه وشفاته. وكل شعر يحمل في دفتيه خصائص
المجتمع الذي نشأ فيه. لذا كان من الصعب فهم الشعر فهماً جيداً دون فهم
المجتمع الذي نشأ فيه.

التصوف

التصوف هو طريق الوجدان الإنساني في فهم حقائق الإسلام والإحساس بها. لذا فمن كانت حياته بعيدة عن الحياة العاطفية الإسلامية، فإنه لن يستطيع إدراك حقيقة التصوف. ولا نعني هنا القيام بتسرية النفس بمناب الآخريين.

* * *

والتصوف في نهاية المطاف هو عنوان إدراك الإنسان لعجزه وفقره وضآلته، والذوبان أمام نور "الحق" وأمام تجليات صفاته التي تشكل أساس الوجود كله والفناء تجاهها.

* * *

التصوف هو عملية تصفية روح الإنسان وتطهره وتوحده مع ذاته، وتجاوز الزمان والمكان والوصول إلى أبعاد مجهولة. وهو الطريق الوحيد أمام كل فرد لكي يمر من الباب الذي فتحه المعراج النبوي ويصل إلى ربه... أي هو نوع من المعراج يتناسب مع قابلية الفرد واستعداده.

* * *

الفلسفة والحكمة توسعان ذهن الإنسان وأفقه وتساعدانه على فهم الأشياء والحوادث. أما التصوف فإنه يؤمن تقارب الإنسان مع ربه وخالقه في بُعد وأفق يستحيل إدراكه، ويجعله من محبيه والقريبين منه والمستأنسين به. التصوف روح الإسلام، ولا يمكن تصور الإسلام دونة. والطرق الصوفية هي التي تنظم هذا الأمر. التصوف - كما يظهر ذلك في أهل الطرق - عبارة عن تنوير قلب الإنسان بفيض الكمال الإلهي اللامتناهي عن طريق الذكر والفكر. تكون بدايته بوضع خطوط فرضية لللانهاية بعد اتخاذ نفس الإنسان مقياساً لها. أما نهايته فهو التخلي عن أسرار النفس وفهم وإدراك كل شيء منه "هو".

* * *

التصوف هو درب البحث عن طريق القلب وعن طريق عين القلب عن الحقيقة الإلهية التي تعجز الفلسفة عن مد يدها نحوها. وبينما يرجع العقل عن هذا الدرب بِخُفْيٍ حُنِينٍ، نرى القلب يطير فوقه بجناحيه في محاولة لفهم وإدراك ذلك "الموجود المعلوم" ثم يعبر عن مدى المعرفة التي حصل عليها بترديده "ما عرفناك حق معرفتك يا معروف".

سيدنا محمد ﷺ

عرفت الإنسانية المدنية الحققة وتبنتها بوساطة رسولنا محمد ﷺ. وكل جهد مبذول بعده في هذا المجال اقتصر على تقليد الأسس التي جاء بها أو تعديلها. لذا كان من المناسب أن ننظر إليه ﷺ باعتباره باني المدنية الحقيقية.

* * *

فهو الذي عد العمل عبادة ونهى عن الكسل ولم يرض عن الكسالى ومدح العاملين المحدين. وأشار لأصحابه وأتباعه والذين يأتون من بعدهم أن يكونوا عنصر توازن للإنسانية في كل حين وأن يتجاوزوا العصر الذي يعيشون فيه.

هو شخص لا نظير له ولا مثيل له من ناحية محاربته للكفر والوحشية وكونه سيف جلادة وبلاغة ضدهما. قام بإعلان الحقيقة بملء صوته على الملأ وأرشد الإنسانية جمعاء إلى الصراط المستقيم وإلى الطريق القويم... طريق الوجود الحق. ولم يكن له مثيل في هذا.

* * *

إذا كان الجهل والكفر يكرهان إنساناً فهو محمد ﷺ. ولكن القلوب الباحثة عن الحق والظائمة للمعرفة الحققة سيجدون عنده ما يبحثون عنه إن عاجلاً أم آجلاً، ثم لا يتركون السير في أثره أبداً.

* * *

والرسول ﷺ هو الذي بلغ الإنسانية جمعاء نظرة الدين في أن الحفاظ على العرض والشرف وعلى الوطن والأمة وحراستها والكفاح في سبيلها جهاد، وأن الجهاد أسمى ذروة في سلم أداء وظيفة العبودية لله تعالى. وهو أول من أعلن للإنسانية عن الحرية الحقيقية، وأن الجميع متساوون أمام القانون وأمام العدالة، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، وأن دعوة الظالمين إلى اتباع الحق عبادة.

* * *

وهو الذي مزق الحجاب والستار عن وجه الفناء والموت إذ أبان بأن القبر ليس إلا صالون انتظار لعالم السعادة الأبدية، فقدم لقلوب الجميع من مختلف الأعمار إكسير السعادة الخالدة.

الجمهورية

الجمهورية تعني شكل الإدارة التي يملك فيها الشعب حق الانتخاب والشورى. وأول كتاب علم هذا دون نقص هو القرآن الكريم. لذا فالادعاء بأن الإدارة الجمهورية تخالف القرآن، إن لم يكن ادعاء مغرضاً فهو سوء فهم. أما نصير الجمهورية الذي يتناسى ويتعامى عن قصد عن مصدرها فهو معاند ليس إلا.

* * *

مثلما لم يدع الرسول ﷺ أنه ملك، كذلك لم يدع خلفاؤه من أصحابه الذين جاءوا من بعده أنهم سلاطين أو ملوك. ولم يظهر النظام الملكي إلا بعد الابتعاد عن روح الإسلام. وبنسبة هذا الابتعاد أصبح هذا النظام واسطة ظلم واستبداد.

إن النظام الجمهوري الذي يستند إلى المفهوم الحقيقي للحرية وللعدالة إضافة إلى كونه شكل إدارة أمينة وجيدة، فهو نظام مرهف ورقيق جداً.

فإذا لم يتم الالتفات إلى خاصيته هذه، فإن من الممكن أن يعشعش فيه الإلحاد والفوضى.

الجمهورية الحقيقية هي شكل إدارة النفوس العالية، وشكل إدارة لائقه بالكرامة الإنسانية. أما النفوس الغليظة التي لم تتلق التربية والثقافة اللازمة، ولم تسر في درب الكمال الإنساني، فإن الجمهورية تبدو لها سراباً بقيعة أو خيمة لا يمكن السكن فيها.

الجمهورية بمثابة أم للحرية أو مربيتها. فهي التي تربي الأجيال العاشقة للحرية وتغذيها. ومع هذا فليست الجمهورية شكل إدارة لحرية غوغائية، بل شكل إدارة لحرية أخلاقية.

تهيئ الجمهورية تربة صالحة للارتفاع بالإنسان وبقيمه الإنسانية العالية، ثم تدعه مع قيمه العالية ووجدانه اليقظ. عند ذلك يكون الإنسان سواء في بيته أو في عمله إنسان إرادة يبتغي الخير والفضيلة فقط ويتبع القيم الإنسانية الرفيعة.

نظراً لوجود الرغبة في الحرية في لب الروح الإنساني وجوهره فإنه لا يرغب في وجود أي قوة تحكمه، لذا نرى عنده ردود فعل لكل تحديد لفكره أو تصرفه. لذا فعلى أنصار النظام الجمهوري عندما يعطون حريات واسعة للأفراد أن يرتفعوا بهم من ناحية الأخلاق والفضيلة ليصبحوا من ذوي الإرادات القوية.

المحافظة على الشعور وعلى التفكير الديني ورعايته من واجبات النظام الجمهوري وضرورياته. لذا فإن القيام بإهانة من يحمل عاطفة دينية وفكراً

دينياً في هذا النظام والاعتداء عليهم واتهامهم إنما هو إهانة للنظام الجمهوري قبل أي شيء آخر واعتداء عليه.

* * *

النظام الجمهوري بحاجة إلى من يفهمه حق الفهم ويحس به حق الإحساس. ويجب أن يكون المجلس فيه مجلس حكمة ووقار ومجلس مفكرين ومجلس عدل يزن كل شيء ميزان الشعرة مثل أي محكمة عادلة.

السياسة

السياسة هي فن الإدارة التي تجلب رضا الله تعالى ورضا الناس. وبنسبة قيام الحكومات -بما تملك من قوة وقدرة- بالمحافظة على شعبها من الشرور والمفاسد، وصيانتها من الظلم تكون بنسبة نجاحها وتوفيقها، وتبشر بمستقبل زاهر. وإلا فإن المظاهر الطنانة سرعان ما تزول مخلفة وراءها الفوضى والمهرج والمرج، فلا تذكر مثل هذه الحكومات إلاّ باللعنات.

* * *

قام الأشخاص الأذكياء والمثقفون والناشطون من السياسيين بإدارة الجماهير منذ القدم. وقام العقلاء من بينهم بإدارتهم سواء أكانوا أشخاصاً جيدين أم رديئين. وقد توافقت سيادتنا العالمية مع امتلاكنا للكادر السياسي الجيد.

* * *

الشروط الآتية مهمة لكل سياسي ولكل إداري:
نصرة الحق وسيادة القانون والإحساس الوظيفي وفهم المسؤولية في الأمور الصعبة والثقيلة والمهارة في الأمور الدقيقة والمرهفة.

* * *

الحكومة تعني العدالة والاستقرار والأمن. فإن لم تكن هذه الأمور متوفرة

في مكان ما فمن الصعب الحديث عن وجود حكومة هناك. فإذا قمنا بتشبيه الحكومة بمطحنة فإن الدقيق الذي تنتجه هو النظام والأمن والاستقرار. والمطحنة التي لا تنتج هذا ليست إلا آلة ضوضاء جوفاء لا تطحن سوى الهواء.

* * *

قبل أن تقول الحكومة عن أمتها "ها هي أمتي" فمن الأفضل والأهم أن تبادر الأمة قبلها وتقول عنها "ها هي حكومي"، لأن هذا هو المطلوب. وبالعكس ذلك فإن الأمة ترى في حكومتها قوة ظلم مسلطة على رأسها، أي أن بنية الأمة تكون قد انفصلت تماماً عن رأسها.

لكي ينمو إحساس الشعور بتقدير الدولة والحكومة واحترامها لا حاجة لقيام الموظفين باستعمال القوة لتحقيق ذلك. فالتصرف الوقور والجلي لأركان الدولة وإخلاصهم في عملهم يكفي لذلك. فلم يستمر حكم أحد ويرسخ بظلم الموظفين، أو بخداع الجماهير واستغلالها.

* * *

إذا كان الموظفون الذين يديرون دولة فاضلة يتم انتخابهم حسب أصالة نفوسهم وأصالة أفكارهم وأصالة مشاعرهم فإن تلك الدولة دولة قوية وعلى أساس متين. أما الحكومة النكدة الحظ فهي الحكومة التي يفتقر موظفوها إلى مثل هذه الخصال الحميدة ولن يكون عمرها طويلاً. لأن تصرف هؤلاء الموظفين المفتقرين إلى السجايا الحميدة سينعكس عليها ويكون لطخة سوداء على جبينها وتفقد مصداقيتها عند جماهير شعبها.

* * *

ضمن إطار القانون على الموظفين أن يكونوا ليني الجانب عند تعاملهم مع الناس. وهكذا يقومون بالحفاظ على منزلتهم وعلى منزلة القانون والدولة أيضاً. فالقسوة الزائدة عن حدها في التعامل تولد انفجارات غير

متوقعة. كما يجب ألا يغرب عن البال بأن الدين الزائد عن حده يؤدي إلى نتائج سلبية عند العديد من غير الناضجين.

* * *

يجب أن يكون القانون نافذاً في كل مكان وفي كل حين وعلى الجميع دون استثناء. وعلى مطبقي القانون أن يكونوا عادلين وغير هيايين من أحد. وهذا شرط ضروري لحفظ هيتهم لدى الجماهير من جهة، ولكي لا تفقد هذه الجماهير ثقتها في استمرار أمنها من جهة أخرى. تكون الدولة قوية ومستقرة ومحظوظة بدرجة تمثيلها من قبل أفراد مؤمنين وأذكباء وأقوياء ونشيطين.

* * *

يقوم صاحب البستان بتغذية شجراته وتنميتها، ويحافظ عليها من الآفات ومن الأعشاب الضارة، ثم يجمع محصولها يوم غلتها. كذلك العلاقة بين الحكومة والأمة.

* * *

تولد الحكومات الجيدة من الأمم الجيدة. وتولد الأمم الجيدة من الأفراد الممتازين للأجيال المؤمنة التي تملك قابلية علمية عالية، وإمكانيات مالية كبيرة وأفاق نظر واسعة والتي تحاول أن تحافظ على ذاتيتها وأصالتها وهويتها.

* * *

يجب إيداع الإدارة في الأمة التي لم يبلغ كل فرد فيها درجة الرشء المطلوبة إلى أمهر أفرادها وأكثرهم علماً ومعرفة وسعة أفق. ولا يمكن تصور وجود كارثة أو نكبة أكبر من إيداع أمر إدارة شؤون الدولة وتسليمها إلى من لا يملكون علماً وعرفاناً ومهارة.

* * *

إذا جاء إلى إدارة شؤون الدولة نتيجة سوء الطالع من يفتقر إلى المعرفة والأصالة ومن لا يحسن هذه الإدارة ولا يفهم شيئاً عنها فإنه لا يتورع أبداً عن استغلال قوة الحكومة وقدرتها في سبيل مصالحه وأغراضه الشخصية فيصبح طاغية مستبدًا.

في مثل هذه البلاد لن ترى سوى سطوة وقهر الظالمين، ولا تسمع سوى أنين المظلومين وآهاتهم. والعاقبة الحتمية لها على الدوام أن تلقى عاقبة "عاد" و"ثمود".

يجب ألا تقوم الحكومة بتنظيم أعمال وسلوك وتصرفات الأمة فحسب، بل بتنظيم تفكيرها وفهمها للأمور. وأهم أساس في هذا التنظيم وحدة التفكير ووحدة الشعور، ووحدة التعليم والتربية. فإذا ربي الأفراد المكونون للأمة على ثقافات مختلفة وغدوا بأفكار مختلفة، وأصبحوا متعادين فيما بينهم، فإن من المقدر على مثل هذه الأمة أن تأكل نفسها بنفسها.

* * *

بنسبة أهمية وحدة الأمة في الثقافة والتفكير والشعور في قوة الأمة وزيادة قدرتها، يلعب تفسخ الوحدة الدينية والأخلاقية دوراً مهماً في تشتت الأمة وتفرقها.

* * *

السياسة موحودة في كل أمر. أما سياسة الذين يهيئون لإيقاظ الأمة وبعثها من جديدها فهي إثارة أمور الأمة على كل شيء وتقديمها على كل شيء وعدم التفكير في أي مصلحة شخصية واستفراغ الجهد في مصالح الأمة.

* * *

يجب ألا يتم البحث عن الإدارة الجيدة والسياسة ذات المستوى الرفيع لدى الذين شاب شعرهم وابيضت لحاهم ولا عند المتبصبين والمتزلفين للحصول على المناصب والرتب ولا عند أصحاب الشهرة الكاذبة التي

وراءها محافل معينة وجهات معينة. بل يجب البحث عنها عند أصحاب النفوس الكبيرة وأصحاب المعاناة الفكرية وعند الذين جعلوا أنفسهم عبيداً للحق وللحقيقة.

* * *

إذا كان كل بيت مدرسة تعليم وتربية لأفراده، وكانت كل مدرسة معسكراً صغيراً يث الروح العسكرية، وكل معسكر مجلساً يتم فيه بحث شروط بقاء الأمة وأمنها، وكل مجلس مختبراً اجتماعياً يقوم حسب وظيفته وصلاحيته بفحص وتقييم كل مسألة ترد إليه في ضوء فكر الأمة وروحها... مثل هذه الأمة تملك أفضل كادر سياسي وإداري.

* * *

وجود أفكار مختلفة وآراء مختلفة من صفات الناضجين، ولكن هذا لا يعني تقسيم الأمة الى معسكرات فكرية متناحرة، إذ لا يمكن لأحد أن يتسامح في هذا الأمر، ولا يحق له هذا. ذلك لأن السماح بتفريق وتشتت الأمة إنما هو سماح بانقراض الأمة وانهدامها.

* * *

مهما كنت مرناً مع المخالفين لك في الفكر والشعور ومتسامحاً معهم وحسن النية بهم، فمن الضروري ألا يغرب عن بالك احتمال صدور الأذى منهم نحوك. ولكن إن كان الأمر متعلقاً بالسيطرة على المواقع الحيوية للمجتمع وللأمة وشرائين حياتها فيجب ألا تعطي لهم مثل هذه الفرصة أبداً. ذلك لأن الإنسان قد يغض الطرف عن تصرفات تورده موارد الخطر، غير أنه لا يحق لأي أحد التصرف بشكل يوقع الدولة أو الأمة في خطر.

* * *

قد يكون هناك أشخاص مخلصون ومفيدون لا يفكرون مثل تفكيرك، ويختلفون عنك في نظرهم للعالم وللحياة، ولكن عليك ألا تتعجل بمخاصمة

كل تفكير لا يعجبك، ولا تتعجل بفقد أصحاب الفكر. بل حاول الاستفادة من أفكارهم، وادخل معهم في حوار، وإلا فإن قمنا بإبعاد كل شخص لا يفكر مثلنا، تجمع هؤلاء الناقمون تدريجياً وأصبحوا كتلة كبيرة ضدنا وسببوا لنا أضراراً كبيرة.

ومع أن التاريخ لا يذكر لنا أن الناقمين استطاعوا القيام بأي عمل إيجابي، إلا أنه حافل بالدول التي استطاعوا هدمها. على الإنسان أن يعرف كيف يستفيد من كل المعلومات المفيدة لمبدئه أو لنظامه أو لحياته ولا يهمله مصدر هذه المعلومات ومن أي إنسان صدرت، وألا يهمل أبداً الاستفادة من أصحاب التجارب.

الدين مؤسسة حيوية جداً بسبب خاصيته في توحيد الأمة ورص صفوفها، لذا كان على القائمين بأمور الدولة أن يأخذوا هذا بنظر الاعتبار فيحتسبوا بظله وبقدرته التي لا تغلب.

لا يوجد هناك أقوى وأكثر فاعلية في تأمين الاستقرار والطمأنينة للدول وللأمم من قوة الدين. إذ أنه بجانب كونه أكبر قوة مؤثرة في الضمائر فإنه أعظم موجه لتصرف الإنسان وسلوكه، لذا كان على القائمين بإدارة الدولة إبقاء الدين حياً في النفوس وفي الضمائر، ويدركوا جيداً أن حياة الأمة مرتبطة عن قرب بالحياة الدينية لها.

إن القيام بترقية الأمة ورفع مستوى الشباب لإدراك مستوى عصرهم، ولكن في إطار من إيماننا وفكرنا، ومكافحة الفقر والبؤس محاربة جادة وعن بصيرة، والحفاظة على ثقة الجماهير مرتبط باستعمال المعرفة والعلم في الصناعة والتجارة.

هناك ثلاثة عناصر تحيا بها الأمة: الدين والحكمة والسلاح. ونستطيع أن نفسر الحكمة بأنها إدراك لعلم الحقيقة ثم تطبيقه في الحياة الواقعية.

الدنيا محطة تجارب. وكل شيء يأخذ مكانه حسب المعنى الذي يأخذه بعد مروره عدة تجارب. وأنا أرى أنه بجانب الاهتمام بالأمر الجربة، علينا ألا نقصر في إجراء تجارب جديدة وتقييمات جديدة للأشياء لكي يتم صيانة خصوبة العلم وغناه.

يجب أن تكون الشفقة والدقة هي الصفة الأساسية في خلق الولاة، والنظام والنظافة والأمن في السوق لدى رؤساء البلدية، وحب الحق وعدم الانحياز والشجاعة الأدبية لدى الحكام.

وجود المنافسة بين الدول والأمم شيء طبيعي. لذا فإن السياسة فيما بينها تجري إما على محور الصداقة أو على محور المنافع. وكلتا السياستين لا بأس بهما إن لم تؤديا إلى ضرر أو إلى ضرار. على أنه من الضروري لنا عدم الوقوع في مصائد الآخرين وعدم استغلالنا من قبلهم، لذا يجب الانتباه واليقظة على الدوام.

الذين يعتقدون أن السياسة عبارة عن حزب ودعاية وانتخابات وصراع للوصول إلى الحكم مخطئون. لأن السياسة عبارة عن صورة واسعة لفن إدارة الجماهير وإرضائها بحيث تتماشى مع رضا الحق تعالى وتنظر للحاضر والمستقبل في آن واحد.

الماضي مدرسة مليئة بالأمثال وبالعبير المأخوذة من الحياة. والذين يستطيعون معرفة كيفية الاستفادة من ثمرات هذه المدرسة وتقييمها وتقييمها

جيدا يستطيعون حكم المستقبل بكل نجاح. ذلك لأن اليوم يشبه الأمس،
والأمس يشبه أمس الامس... الألوان هي المتغيرة فقط.

حكم القوة مؤقت وزائل. أما حكم الحق والعدل فباق. وإذا لم يتحقق
هذا الآن فالحق آت عن قريب دون ريب. لذا فأفضل سياسة هي أن تكون
بجانب الحق والعدل.

* * *

من المقاييس والموازن عندنا أن القول "إنني لا أتدخل في السياسة، ولا
تتدخل أنت في السياسة" يعني "إنني لا أتدخل في شؤون الوطن والأمة ولا
أتدخل في حياة وبقاء الأمة، ولا تتدخل أنت كذلك".

* * *

نظراً لأن الكثير من الناس في أيامنا الحالية يرى أن اللعب السياسية
اليومية ليست سوى استغلال للناس وخداع لهم وصراع من أجل المنافع
والمصالح وتصوير كل الأمور غير المشروعة وكأنها أمور مشروعة، لذا نرى
أن الذين يريدون الاحتفاظ بحياتهم القلبية والوجدانية والفكرية سليمة،
والاحتفاظ بعلاقتهم وارتباطهم مع الحق تعالى قوية يفضلون الابتعاد عن كل
حركة سياسية ويرون هذا أمراً ضرورياً. ولكن هيهات! إذ أين السياسة
المتعلقة بالحق وبالعدل والمرتبطة معها ارتباطاً لا ينفصم عن السياسة الغارقة
في مستنقع الكذب والخداع.

الوجد والعشق

العشق نعمة من أخفى النعم والألطاف التي أنعمها المنعم الكريم على
الإنسان. وهو يوجد بشكل بذرة أو نواة في قلب كل إنسان. فإذا توفرت
الظروف والشروط الملائمة نمت هذه البذرة وأصبحت شجرة

باسقة وأزهرت وأثمرت ونضجت وتكاملت لتصل البداية بالنهاية.
والعشق يسيل إلى العوالم الداخلية للإنسان كإحساس من منافذ العين
والقلب والأذن. ويتجمع هناك كتجمع المياه والسدود، وينمو ويكبر وينتشر
انتشار النار في الهشيم، ويحيط بالإنسان من كل جانب حتى ساعة الوصال.
وعندما ينتهي الحب بالوصال يركد كل شيء، وتنطفئ النار ويفرغ السد.
والعشق الذي يشغل حيزاً مهماً في كل روح تقريباً منذ الولادة بشكل
نواة ومعنى يجد نغمته ولونه الأصلي عندما ينقلب إلى حب حقيقي. وعندما
يجده يكتسب صفة الخلود والأبدية، وتكون لذته عند الوصال لذة معنوية.

* * *

القلب هو اعظم منافذ الإنسان لتلقي التجليات الإلهية، وآية ذلك ما
يضطرم في هذا القلب من الحب والوجد لله تعالى وما يلتهب فيه من نيران
الشوق إليه.

* * *

أقصر طريق وأفضله للوصول إلى أفق الإنسان الكامل هو طريق الحب.
فمن الصعب الوصول إلى هذا الأفق من دون حب ومن دون شوق.
فللوصول إلى الحقيقة يمكننا القول إنه لا يوجد بجانب طريق "العجز والفقر
والشكر والشوق" طريق يعادله سوى طريق الحب.

* * *

الحب براق أهده الله تعالى لنا لنجد الجنة التي فقدناها. ولم يحدث حتى
الآن لأحدهم هذا البراق أن تاهوا في الطريق. وإن كان من الممكن لأحدهم
هذا البراق السماوي رؤية الماشين في جانب هذا الطريق من أصحاب
الشطحات والسكر، ولكن هذا يرجع تماماً إلى معيار العلاقة الموجودة بينهم
وبين الله تعالى.

* * *

ولأن العشق يحرق الإنسان ويذروه رماداً، فإن النار لن تمسهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ولن تستطيع حرقهم، استناداً إلى المبدأ القائل إنه لن يجتمع أمان ولا خوفان لدى إنسان واحد. فلا يمكن تصور إنسان قضى حياته كلها وقلبه محترق بنار العشق الإلهي، وعالمه الداخلي في صراع مع نار جهنمية، أن يتعرض إلى ألم آخر مماثل ويقاسي من العذاب نفسه.

* * *

العشق الذي ينسي الإنسان نفسه، ويجعله فانياً في معشوقه.. مثل هذا العشق لا غرض له ولا منفعة، بل هو عنوان للذوبان في معشوقه والفناء فيما يحبه معشوقه ويرضاه ويريده. وأظن أن هذا هو المطلوب من الإنسان.

* * *

حسب قوانين العشق، فإن ورود خيالات أخرى لعين العاشق حرام. وارتكاب هذا الحرام يعني موت العشق. وحياة العشق تكون مستمرة ما دام العاشق يرى كل ما حوله أوصافاً لجمال حبيبه وأغاني مديح لكماله، وإلا خبا ومات. لا يفكر العاشق في أي مخالفة لمراد معشوقه، بل لا يستطيع ذلك. ولا يرغب أن يلقي أي شيء ظلاً عليه أو يسبب في نسيانه له. بل يرى كل كلمة وكل حديث لا يتعلق بمعشوقه عبثاً ودون فائدة. ويعد كل عمل له لا يتعلق بمعشوقه جحوداً منه وعدم وفاء.

* * *

العشق يعني أن تتطهر كل علاقات القلب وكل ميول الإرادة وكل الأحاسيس من غير المعشوق، وأن تتوجه كل لطائف الإنسان إليه حتى لا يرى في أحلامه وفي خياله ولا تتوجه مشاعره إلى أحد سواه. وفي مثل هذه الحالة يبرق في كل تصرفات العاشق معنى يعود للحبيب إذ ينبض قلبه بالشوق إليه. ويتغنى لسانه بحبه ويفتح عينيه ويغمضهما بذكره.

يشم العاشق في كل شيء عطر حبيبه. في النسيم الهاب، وفي المطر

الهاتل، وفي الجدول المنساب، وفي صوت الغابة، وفي غبش الصباح، وفي
ظلمة الليل. وعندما يرى جماله المنعكس حواليه يحتاجه الوجد... وفي هبوب
كل نسيم يحس بأنفاس حبيبته، فيشمل... وعندما يتوقع أهون عتاب من
حبيبته يتفطر قلبه أسي وأنيناً.

* * *

وعندما يستيقظ العاشق على إشارات معشوقه يرى نفسه وقد تلونت
شفتاه بحمرة الدم القاني، وصدره وهو يمجج بطوفان من اللهب، ويجد نفسه
وقد أحاطت به ألسنة اللهب... يرى هذا فلا يتمنى أن يخرج من لذة هذا
البحيم المحيط به.

* * *

يخطئ من يعد العشق هو الحب الشهواني للفاسقين. فمثل هؤلاء لا
يعرفون العشق الحقيقي. هذا علماً بأن العشق المجازي ينقلب أحياناً إلى عشق
حقيقي. ولكن هذا لا يعني أن للعشق المجازي والصوري أي قيمة، بل يدل
أنه ناقص ومعيب ولا يحمل أي معنى من معاني الخلود.

* * *

العالم الداخلي للعشاق الحقيقيين يشبه عالم البراكين تتصاعد منه ألسنة
الدخان والحمم. والذين يراقبون أحوالهم يعرفون أن كل أنة صادرة منهم
كالحمم المنقذفة من البراكين تحرق كل مكان تقع عليه وتدمره وتشعل
الحرائق فيه.

* * *

من الصعب جداً شرح العشق بالكلمات... بل قد يكون هذا مستحيلاً. لذا
كان القسم الأكبر من شروح العشق شروحاً لظواهره المنعكسة على الخارج
وليس العشق نفسه. ذلك لأنه حال، ولا يعلم هذه الحال إلا صاحبها.

* * *

إن العاشق هو الثمل الذي جعل عشق "الحق" مذهباً له، ويقضي حياته

في مشاعر الإعجاب والإجلال والحب لمحوبه، والذي يحتمل ألاَّ يَصْحَوْ من
سكره إلا على صوت الصور يوم القيامة. وقلب العاشق نافورة عشق دائمة
الفوران تتدفق بالحب ولا تتوقف.

* * *

العشق الحقيقي هو العلاج الحقيقي الوحيد لتسكين آلام الفناء والموت
وتهدئة اضطراب وآلام القلوب المتلوعة بأحزان الخريف. وهو الشفاء الوحيد
لمشاكلنا وأمراضنا التي كنا نظنها مستعصية منذ سنين ولمخاوفنا وقلقنا
وأزماتنا والدواء الوحيد لها.

* * *

عندما تغذت الأجيال بالعلم والعرفان وثقافة أيماننا الحالية ولكن دون أن
يتم قدح أي شرارة من العشق في القلوب وإن كانت شرارة صغيرة، فإن
عملية التعليم والتربية بقيت ناقصة تماماً ولم تتجاوز تربية الأجسام أبداً.

المرأة

المرأة هي المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية. فهي التي تقوم بتعليم الأطفال
وتربيتهم وبتأمين النظام والسعادة والتفاهم في البيت. لذا ففي هذه الأيام
الحالية التي يتم فيها البحث عن مواقع جديدة لها، نرى أن قيامنا بالتذكير
بهذه النعم التي قامت يد القدرة بإنعامها عليها قد يمنع مثل هذه البحوث التي
هي في غنى عنها.

* * *

إن البيت الذي توجد فيه امرأة شريفة وذات تربية ومتعلقة ببيتها وعشها
هو قطعة من الجنة. والأصوات والأنفاس التي تتردد فيه لا تختلف كثيراً عن
أصوات الحور العين والغلمان المخلدين في الجنة.

إن الإنسان عندما يرى أحياناً امرأة مسحوقة تحت مظاهر الزينة لا يملك

إلا أن يتساءل "ترى هل تلقى العفة والشرف والفضيلة التي هي زينتها الداخلية كل هذا الاهتمام لديها؟"

* * *

إن الشيء الذي يرفع المرأة إلى مستوى أعلى من الملائكة ويجعلها أئمن من الماس هو عمق عالمها الداخلي وعفتها ووقارها. فالمرأة غير العفيفة تشبه عملة زائفة، والخالية من الوقار لعبة وموضوع استهزاء. وفي الجو الخانق لأمثالهن لا يمكن الحديث عن عش صحي ولا عن جيل صحي.

* * *

المرأة المتوجهة بعالمها الداخلي نحو الفضيلة تشبه ثريا من الكريستال في بيتها. ففي كل حركة منها يشع الضوء في أرجاء البيت. أما المخلوقة النكدية الحظ المستسلمة للأهواء المظلمة المتجسدة في صورة المرأة فهي مصدر تلوث، إذ تلوث كل مكان تحل فيه.

* * *

الكتاب الذي يجب على المرأة قراءته دائماً هو كتاب التربية الاجتماعية. ولكن لا يمكن لأحد الادعاء بأن أفضل كتاب في هذا الموضوع قد كُتب حتى الآن.

* * *

كلما شاهدت المرأة المستسلمة لأهوائها عذرت الذين يصفون المرأة بقصر العقل. وأنا أظن بأن هؤلاء لو شاهدوا كيف أن المرأة أصبحت اليوم مادة إعلان لما وجدوا كلمة يستطيعون بها وصف أمثال هؤلاء النساء.

* * *

كان القدماء يقولون "إن الإبرة في يد المرأة تشبه الرمح في يد المجاهد". والحقيقة أنني لا أرى في هذا القول أي مبالغة.

* * *

العهود التي أصبحت فيها المرأة متاعاً مبدولاً للشهوة والتسلية ومادة

للإعلان والدعاية عهود عديدة. غير أنها -لحسن الحظ- كانت أيضا بدايات لعهود رجعت فيها المرأة إلى نفسها ووجدت ذاتها.

* * *

كان يقال للابن في البيت "مخدوم"، ويقال للبنت "كريمة". وفي اللغة العربية تطلق على العينين اسم "الكريمتان". وهذه الكلمة تصف كيف أن البنت هي كالعين في مدى أهميتها وضرورتها وحساسيتها ورقتها.

* * *

نقول في المثل "احفظ إزارك من الغبار ومن التراب". إذن فما بالك بمدى ضرورة حفظ المرأة التي هي بمثابة يؤبؤ العين!!

* * *

كما أن زينة المرأة الفاضلة هي شرفها وعفتها، فإن أكثر جوانبها مدعاة للتقدير والإعجاب هي تربيته الاجتماعية وإخلاصها لزوجها.

* * *

المرأة الجيدة هي المرأة التي تصدر الحكم من فمها، واللطافة والرقّة من روحها، والتي تشيع بتصرفاتها الاحترام والتوقير فيمن حولها. والعيون المدركة تحس هذا الجانب المبارك والمقدس لها، فلا تحس نحوها إلا بالاحترام والتقدير، وتنبأ عن أي حس عكر تجاهها.

* * *

مع أن المرأة التي لم توسع ملكاتها الروحية مع نمو جسدها تبدو كزهرة تزين الرؤوس مدة من الزمن، إلا أنها سرعان ما تذبل ذبول أوراق الخريف، فتقع على الأرض وتدوسها الأقدام. فما أفجعها من نهاية للذين ضلوا طريقهم فلم يجدوا الطريق الموصل إلى الحياة الأبدية.

* * *

المرأة جوهرة نفيسة لا تستحق الوقوع في الأحوال. ولم نفقد بعد أملنا

في أن الأجيال المحظوظة القادمة ستكرمها وتعزها وتحافظ عليها محافظتها
على عينيها.

المرأة عندنا أساس متين في شرف الأمة ونجابتها. وحصتها في إنشاء
تاريخ أمتنا المجيدة لا تقل بحال عن حصة المجاهدين الذين قاتلوا الأعداء
وفتحوا البلدان.

معظم حوارِيّ حرية المرأة وحقوقها لا يفعلون شيئاً سوى دفع المرأة إلى
طريق الرغبات الجسدية وطعن حياتها المعنوية والروحية.

المرأة الواصلة إلى النضوج الروحي تستطيع إدامة الأجواء العطرة لبيتها
بالخلف الصالح لها. لذا يظل بيتها مكاناً فوق كل وصف... مكاناً يشبه
الجنة في أجوائها وعطرها وسعادتها.

والمرأة التي فتحت قلبها لنور الإيمان وعقلها للعلم وللتربية الاجتماعية
تضيف كل يوم جمالاً جديداً لبيتها وكأنها تنشئه من جديد. أما السفهية
فتقوم بهدم البيوت القائمة وتحويلها إلى خرائب، بل إلى مقابر.

ليست المرأة آنية ملطخة ولا قطعة معدن رخيص. ومحلها ليس محل
الأواني الوسخة والمعادن الرخيصة. فهي جوهرة نادرة، لذا يجب أن تصان
في علبة جواهر مرصعة بالصدف.

للمرأة موقع ممتاز من ناحية الرقة واللطافة والحساسية. ولا تستطيع أن
تكون ذات فائدة لبيتها ولجتمعتها في مواصفاتها هذه إلا عندما تبقى ضمن
إطار فطرتها وطبيعتها.

جميع المقترحات التي يقدمها أنصار المرأة الآن لا تؤدي إلا إلى تهوين شأنها ونزع برقع حياؤها وتشويه طبيعتها. هذا مع العلم أن المرأة حلقة مهمة جداً في سلسلة الوجود. وأهم جانب عندها هو ضرورة احترامها لطبيعتها وفطرتها والبقاء ضمن إطارها.

القرآن

القرآن هو مجموعة القوانين الإلهية النازلة من لدن الخير المتعال والمشرقة على عالم بني الإنسان، والتي تتناول الإنسان مع جميع جوانبه، من قلبه وروحه وعقله وجسمه.

* * *

واليوم يتبع ما يقارب المليار من الناس هذا القرآن الذي يعد الكتاب الوحيد الذي لا مثيل له ولا شبيه، والذي يستطيع بمبادئه الإلهية الأبدية الثابتة أن يوصل البشرية جمعاء إلى السعادة عن أقصر طريق وأقومه وأنوره.

* * *

القرآن منبع نور لأكثر الجماعات نورانية والتي سيطرت على مصير العالم وعاش فيها مئات الآلاف من العلماء والفلاسفة والمفكرين. لذا فلا يوجد لسلطانه شبيه ولا مثيل.

* * *

كم من اعتراض ونقد تعرض له القرآن منذ نزوله وحتى الآن. ولكن ما من محكمة دخلها إلا خرج منها بريئاً وفائزاً.

القرآن نور متبلور في القلوب ومنبع نور للقلوب ومعرض حقائق. ولكن لا يعرفه على حقيقته سوى القلوب التي تستطيع حدس كل جمال الكون عند رؤيتها لزهرة واحدة ومشاهدة طوفان من رؤية قطرة واحدة.

* * *

للقرآن أسلوب لم يملك حياله العرب والعجم سوى السجود عند الاستماع إليه. أما الأدباء المنصفون فلم يملكوا أمام جمال محتواه إلا الوقوف أمامه بخشوع واحترام.

السبيل الوحيد لوحدة المسلمين هو اجتماعهم على التصديق بالقرآن والإيمان به. وقد نجحوا في السابق في هذه الوحدة وسينجحون في المستقبل أيضا عند الإيمان والتصديق به. أما الذين لا يؤمنون بالقرآن فهم أولاً غير مسلمين ويستحيل عليهم ثانياً أن يؤسسوا وحدة باقية فيما بينهم.

* * *

القول بان "الإيمان مسألة قلبية" يعني أن الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن لا يكون باللسان فقط بل بالقلب أيضاً. وكل عبادة من العبادات تكون مظهراً من مظاهر الارتباط بهذا الفهم للإيمان.

* * *

عندما كانت الإنسانية غارقة في ظلام الجهل والكفر والوحشية ظهر مثل طوفان من النور بين دياجير ذلك الظلام، ولأول مرة في التاريخ حقق مثل هذا الانقلاب الكبير الشامل الذي لم ير التاريخ مثيلاً له. ولم يتم هذا الانقلاب إلا بالقرآن. ويكفي التاريخ شاهداً على هذا.

* * *

القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يعلم الإنسان معنى الإنسان وماهيته والحق والحكمة وذات الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، وذلك بأدق ميزان. وليس هناك كتاب آخر يمثله في هذا الميدان أبداً. ولو طالعت حكم الأصفياء والأولياء وفلسفة الفلاسفة الباحثين عن الحق لعرفت ذلك بنفسك.

* * *

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي أمر بالعدالة الحقيقية وبالحرية الحقيقية وبالمساواة المتوازنة وبالخير والشرف والفضيلة والشفقة حتى على الحيوان،

وحرم الظلم والشرك والجهل والرشوة والربا والكذب وشهادة الزور تحريماً واضحاً.

* * *

وهو الكتاب الوحيد الذي صان اليتيم والفقير والمظلوم وأجلس السلطان والعبد، والقائد والجندي، والمدعي والمدعى عليه على طاولة واحدة أمام المحكمة.

* * *

والذين يرون القرآن منبعاً للأساطير والخرافات، هم الذين ورثوا هذا الهذيان الأحمق من عصر الجاهلية العربية قبل أربعة عشر قرناً. والحكمة والفلسفة الحقيقية تسخران من هذه النظرة.

* * *

ويا ليت الذين يهجمون على القرآن وعلى تعاليمه يستطيعون تقديم أي شيء بديلاً عنه لصالح النظام البشري وأمنه وسعادته. والحقيقة أن من الصعب جداً فهم سبب هذا التمرد وهذا العناد ضد القرآن في الوقت الذي تنخبط جميع الحضارات والمدنيات المخالفة لتعاليم القرآن وتعاني الويل والثبور وتتجرع الآلام، كما تعاني جميع القلوب الخالية من نور القرآن أزمات نفسية حادة ومؤلمة.

* * *

نمط الحياة الذي يوصي به القرآن هو أفضل حياة للإنسانية وأكثرها نظاماً. بل يمكن أن يقال بأن كثيراً من محاسن المدنية التي تنال التقدير والإعجاب في جميع أرجاء العالم ليست إلا المحاسن التي سبق وأن شجعها القرآن وحض عليها قبل مئات الأعوام. إذن فمن الملام ومن المقصر؟

* * *

الذين تعودوا عندنا على التهجم على القرآن واتخذوا هذا عادة ومسلكاً

لهم هم في الأكثر فئة تجهل أنها تجهل ما تتعرض له. وهذه الفئة البائسة لم تقرأ شيئاً عما تتعرض له ولا تملك أي بحث أو تدقيق علمي حوله. وليس هناك من فرق بين هؤلاء وبين الجاهل الذي يعادي العلوم الوضعية. ولكن الظاهر أن هناك حاجة لبعض الوقت لكي تصل الحقائق إلى الجماهير العريضة.

* * *

الذي يؤمن بالقرآن يؤمن بمحمد ﷺ، والذي يؤمن بمحمد ﷺ يؤمن بالله تعالى. فمن لا يؤمن بالقرآن لا يؤمن بمحمد ﷺ ومن لا يؤمن بمحمد ﷺ لا يؤمن بالله تعالى... هذه هي أبعاد الإسلام الحقيقية.

* * *

استطاع الإنسان بفضل القرآن أن يصل إلى مرتبة سامية وهي مرتبة مخاطبة الله تعالى. والإنسان الذي يعي وصوله إلى هذه المرتبة إن حلف أنه استمع بلسان القرآن الكريم إلى الله وأنه تحدث معه لا يكون حائثاً في حلفه.

* * *

الإنسان الذي يعيش في الجوّ النوراني للقرآن، يحس ويشعر وهو في حياة الدنيا بعالم القبر والبرزخ، ويشاهد المحشر والصراط. فيرتجف من هول جهنم... ويتحول في ربوع الجنة فرحاً.

* * *

الذين يحولون دون فهم المسلمين لقرآنهم والتعمق في معانيه، يكونون قد حالوا بينهم وبين روح الدين وبينهم وبين لب الإسلام وجوهره.

* * *

وأنا أرى بأنه في المستقبل القريب ستشاهد الإنسانية بنظرات ملؤها الإعجاب والتقدير كيف أن شلالات مختلف العلوم والفنون تتجه نحو القرآن وتصب فيه. عند ذلك سيجد العلماء والباحثون والفنانون أنفسهم في البحر نفسه.

ليس من المبالغة أبداً النظر إلى المستقبل بأنه سيكون عهد القرآن، ذلك لأنه الكلام الذي يرى الماضي والحاضر والمستقبل في آن واحد.

الزواج وعش الزوجية

ليس الزواج من أجل الحصول على اللذة، بل هو لتشكيل أسرة، ولتأمين بقاء الأمة ودوامها، ولإنقاذ أحاسيس الفرد وأفكاره من التشتت، وللسيطرة على أهوائه وغرائزه الجسدية. وكما في مسائل فطرية عديدة، فإن اللذات ليست إلاّ جوائز للترغيب.

* * *

ويجب ألاّ يكون همّ المقبلين على الزواج المظهر الخارجي لرفيق العمر أو ملابسه وقيافته أو ثروته أو جماله الخارجي. ففي هذا الأمر الجدي والخطير يجب أن يتم اتخاذ القرار على أساس من الفهم لجمال الروح والفضيلة والأخلاق والسلوك العالي.

* * *

الذين لم يقوموا بالتدقيق والبحث الضروري قبل الزواج، أو لم يجدوا الفرصة لذلك، لن يفيدهم أي شيء ولا أي إرشاد عندما يصل الأمر إلى مرحلة الطلاق. أجل! فالهمّ هنا ليس إنقاذ الأسرة من الحريق بأهون الأضرار، بل المهم عدم إدخال ما يسبب الحريق إلى البيت.

* * *

يجب ألاّ نعطي أي بنت لمن لا نعرفه، ولا نطلب يد أي بنت لا نعرفها. فأى عقد نكاح يتم في ظل مثل هذه المجاهيل سيكون مصيره إما الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله، وإما أسرة محكومة بحياة معذبة طوال العمر. كم من أسرة مباركة أسست من اللحظة الأولى -باللجوء إلى الحق

تعالى - على أساس سليم من العقل والمنطق، فأصبحت طوال حياتها بمثابة مدرسة تخرج طلاباً نافعين يعدون ضمناً لبقاء أمتهم ودوامها.

أيّ زواج لا يتم بتفكير وتمحيص لا يخلف وراءه سوى أزواج بعيون دامعة وأطفال في ملاجئ الأيتام وجرائم تفتت القلوب والأكباد.

إن كانت فائدة الزواج بالنسبة للفرد فائدة واحدة. ففوائدها للأمة جمة، لذا فإن أضرار عدم الزواج عديدة، مثله في ذلك مثل الزواج الفاشل حيث تصبح الفتاة بائسة والشاب ضائعاً. وهو مرض ينخر في جسد الأمة كالكوليرا.

الأسرة المؤسسة على أسس متينة منذ البداية هي عيش ترفرف عليه السعادة المادية والمعنوية وحجر الزاوية لبقاء الأمة ودوامها على أساس متين ومدرسة مباركة تخرج أفراداً ذوي أخلاق فاضلة.

والأمم التي جعلت أسرها بمثابة مدارس مباركة ومثمرة، وجعلت مدارسها بدفء البيوت تكون قد أنجزت أفضل حركاتها الإصلاحية، وأمنت سعادة وطمأنينة أجيالها القادمة.

الأمة عبارة عن مجموع العائلات والأسر. لذا فالأمة التي تملك بيوتاً صالحة تكون صالحة، والتي تملك بيوتاً فاسدة تكون فاسدة. وبإليت الذين يرومون صلاح الأمة يبدؤون بإصلاح الأسر والبيوت قبل كل شيء آخر.

البيت يكون بيتاً حسب الأفراد الذين يعيشون فيه. أفراد البيت يكونون سعداء بنسبة ما يتحلون به من صفات ومن قيم إنسانية. أجل! نستطيع

القول بأن الإنسان بفضل بيته يستطيع العيش كإنسان. والبيت يكون بيتاً بالأفراد الذين يعيشون في ظله.

* * *

البيت أمة صغيرة، والأمة بيت كبير. والشخص الذي ينجح في إدارة بيت - كبيراً كان أم صغيراً - إدارة صحيحة ويرتفع بأفراد ذلك البيت إلى المستوى الإنساني اللائق يستطيع ببذل جهد صغير القيام بإدارة مؤسسات أكبر إدارة ناجحة.

* * *

الفوضى الموجودة في بيت يدل على فوضى ساكنيه وعلى بؤس البنية الروحية عندهم. كما أن وساخة الشوارع والأزقة والدكاكين والبيوت في أي مدينة وعدم انتظامها إشارة إلى اعتلال أمزجة كادر مؤسسة البلدية فيها.

الطلاق

الطلاق هو خروج المرء من قيد النكاح. ومن النادر أن يكون سبباً في الراحة والهدوء، إذ يجر الشقاء والسفالة في أعقابه.

* * *

الطلاق في نظر الدين هو أبغض الحلال. ولكن بدرجة بغض وقوعه يكون منعه غير طبيعي وغير فطري. إن تجاهل ضرورات الطلاق هو عدم معرفة بماهية الإنسان وخواص هذه الماهية. لأن توقع امتزاج كل زوجين مع بعضهما توهم سطحي بأن الجميع على فطرة واحدة وطبع واحد ومزاج واحد وسلوك واحد. وهذا سذاجة في التصور.

* * *

كل طلاق مزاجي ندم للمطلق وظلم للمطلقة ومصدر شقاء لأفراد الأسرة يدوم طوال الحياة كنزيف جرح غير مندمل.

* * *

إذا كان الطلاق بمثابة عملية جراحية لعضو مريض، فإن قيام الزواج على أسس منطقية وربطه بشروط متينة ضرورة قصوى. لذا فقبل الطلاق الذي يهدم، وقبل منع الطلاق الذي يسحق الوجدان علينا القيام بتأمين زواج يسوده التفاهم والوثام وعدم التفريط بالشروط والظروف التي تؤدي إلى مثل هذا الزواج.

* * *

لقد حربت الدنيا طوال عصور عديدة إجبار الأزواج الذين لا يرضون باستمرار الزواج بالعيش معاً. وذلك بمنع الطلاق أو ربطه بشروط مستحيلة. وحربت دنيا أخرى استعمال المرأة كمتاع، تؤخذ متى شاءوا وتطرح جانباً متى شاءوا. الدنيا الأولى كانت عذاباً للرجل، والثانية لم تكن تنظر إلى المرأة كإنسان.

الإحساس والشعور

الإحساس عند الإنسان هو قابليته في إدراك ظاهر وباطن ما يصل إليه بواسطة حواسه الظاهرية والباطنية. والإنسان الحساس هو من يدرك شيئاً أو عدة أشياء معاً في هذا المجال مثل هذا الإدراك.

* * *

العقل هو آلة إدراك العقل، والوجدان آلة إدراك الروح. فإن أطلقنا صفة "العلم" على الأول، فمن المناسب إطلاق صفة "الحس" أو "الإحساس" على الثاني. لذا كان من المستحيل على من كان عقله معطلاً ووجدانه ميتاً إدراك الوجود أو الإحساس به ولا معرفة ما يجري حواليه من أمور وحوادث.

* * *

الإحساس من زاوية نظر الحكمة هو الوجدان والضمير الذي هو آلية

إدراك الروح نفسه، لذا فالإنسان عديم الإحساس هو دون وجدان. ومن لا يملك وجداناً لا يملك إحساساً، ومن لا يملك إحساساً لا يملك وجداناً.

* * *

والإحساس بمعنى أخص هو قابلية التمييز بين الخير والشر وبين الجمال والقبح بحدس داخلي حيث تظهر عن هذا الطريق كثير من الأوصاف الإنسانية. فمثلاً عندما نأسر أعداءنا أنقوم بقتلهم أم بالعفو عنهم؟ وعندما يلوثون شرفنا أنقوم بتلوث شرفهم أم بالتصرف أنسانياً نحوهم؟ نحن نختار موقفنا هذا بإحساسنا بهذا المعنى.

* * *

يتربى الإحساس بالحكمة وينمو. أما الفلسفة المادية فتقوم بإطفائه والقضاء عليه. لذا فالذين يسندون كل شيء إلى العقل لا يدركون أبداً العالم المضيء للأحاسيس.

يستلزم الإحساس الصادق شعوراً صافياً خالياً من الغرض. والشعور الصادق الصافي يتولد من إحساس حقيقي وتام.

* * *

جميع الانتصارات التي يحرزها عديمو الوجدان والإحساس انتصارات حيوانية وحلقات من سلسلة فضائح. وهي تنتهي دائماً بتعاظم حب الذات والنفس وبضمور الروح وبشلل الوجدان.

* * *

الذين يحسون في وجدانهم بآلام المصائب التي يتعرض لها الدين والوطن والأمة هم أصحاب الأرواح السامية الذين عشقوا هذه القيم السامية، وهم على استعداد ليضحوا بحياتهم في سبيلها دون تردد.

أما المحرومون من الأحاسيس والمشاعر فإنهم وإن تكلموا كثيراً عن

التضحية إلا أنهم لا يستطيعون القيام بأي تضحية يلوكونها بألستهم مهما كانت صغيرة.

إن وجود بعض الخصال التي تعد كل خصلة منها فضيلة إنسانية قائمة بذاتها، مثل التفكير في الآخرين والعمل من أجلهم وإن أدى ذلك إلى ضرر شخصي، والعيش من أجل الآخرين والاشتراك في آلامهم وأفراحهم... وجود مثل هذه الخصال عند بعضهم يدل على قوة الإحساس الروحي عندهم. أما المحرومون تماماً من مثل هذه الأحاسيس فلن تجد عندهم خصلة واحدة من هذه الخصال. أما ما يلوح عندهم من بعض أمارات الفضيلة والشهامة فهي أشبه بغممة هامسة للحن لحنه آخرون.

إن ترقى أي أمة وتقدمها مرتبط بدرجة وحدة الأحاسيس لدى أفرادها وبدرجة عمق مشاعرهم. فالأفراد الذي يملكون أحاسيس عميقة هم الذين لا يترددون في التضحية بأرواحهم في سبيل مبادئهم. فإن سدت أمامهم السبل وأسقط في أيديهم فقدوا عقولهم أو ماتوا من الهم والغم.

أعلى مرتبة من مراتب الإحساس هي الأحاسيس المتولدة عند الاعتداء على القيم الدينية والمالية، إذ تقوم بهز الأرواح الحساسة كحمى شديدة، ونستطيع أن نطلق عليها أسم "الحمية".

الحمية من أبرز العلامات التي تميز الإنسان الحقيقي عن الإنسان الذي لا يملك من الإنسانية إلا صورتها، وتبرز بشكل آلام روحية مبرحة عندما تنقلب القيم في وسط ما رأساً على عقب. إن جميع العقول الكبيرة التي عانت طوال التاريخ بدءاً من صاحب أعلى

روح وأسماء ﷺ حتى يومنا هذا هاموا نتيجة حمى الأفكار في عقولهم في البراري والجبال أو في المغارات والقبور... هاموا على وجوههم وهم يكادون ينسحقون من ثقل الأفكار التي تنبض بكل شدة في عقولهم. وأنا أعتقد أن الذين أنشأوا أفضل الأدوار في التاريخ كان هؤلاء الأبطال... أبطال الحمية والأحاسيس العميقة.

البصيرة

البصيرة هي الوعي الكامل لكل الأمور التي تيسر المشاهدة بنور العلم والتجربة والفراسة والإحاطة بها إحاطة كاملة. فإن كان الإنسان المالك لمثل هذه البصيرة منفتحاً على العالم الآخر فإنه يعد بطلاً من أبطال الحقيقة وشخصاً يحاول أن يصل إلى مرتبة الإنسان الكامل.

* * *

العقل منبع مهم للعلم. أما البصيرة فمنبع مهم للمعرفة أو العرفان. فالذي يملك عقلاً ولا يملك بصيرة قد يعرف أشياء كثيرة ويفهم أشياء كثيرة إلا أنه لا يستطيع أن يصل بمعلوماته إلى شيء.

* * *

إذا كانت البصيرة معرفة الشيء على حقيقته أو قريباً منه، إذن فليس شرطاً أن يكون كل شخص عاقل ذا بصيرة.

* * *

العقل المحروم من البصيرة يكون غارقاً في التردد وعدم الاستقرار. أما عالم البصيرة فهو عالم دافئ ومستقر يشع طمأنينة وأماناً.

* * *

إذا كانت البصيرة هي المرحلة الأخيرة لإدراك العقل والفكر والدماغ